

قصص عن جماعة
من مشاهير كتاب الغرب
فرج جبران



قصص عن جماعة من مشاهير كتاب الغرب

تأليف
فرج جبران



قصص عن جماعة من مشاهير كتاب الغرب

فرج جبران

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

بورك هاوس، شبيت سرتيت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تلفون: + ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٢٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وفاء سعيد

التقديم الدولي: ١١٨٤ ٨ ١ ٥٢٧٣ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٢٧.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٥.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: تَسْبُبُ المُصَنَّفِ، الإصدار ٤٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة لملكية العامة.

المحتويات

٧	إهداء
٩	كلماتي
١١	بيان
١٣	قصص عن الكاتب الفرنسي الشهير ألفونس دوديه
١٥	الوزير في الريف
١٩	عنز المسيو سيكين
٢٣	سر «العلم» كورنيل
٢٩	وفاة ولي العهد
٣٣	الفراشة الراقصة
٣٩	وجوم ...
٤٥	لويز
٤٩	هل هي آثمة؟
٥١	هدية الزواج
٥٥	زارا
٥٩	غرام زائف
٦٣	قصة العذراء
٦٧	الروح الكورسكية
٧٣	العاصفة

٧٥	قصص عن الكاتبة الإنجليزية الكبيرة لويز هيلجرز
٧٧	ابنتي الصغيرة
٨١	عشاء اثنين
٨٧	العلم
٩١	حديقة
٩٣	روبيسيير يرتد خائباً
٩٧	حلم يوم من أيام الصيف
١٠٥	بولزلوف
١١١	هدية الموت
١١٥	قصص عن الكاتب الفرنسي الكبير مارسيل بريفو
١١٧	الوحم
١٢٣	الضيف
١٢٩	بعد الخطيئة

إهداع

إلى: روحها الطاهرة ...
في مثواها الأبدي

كلماتي

إن القصص التي تحتويها هذه المجموعة هي جزء مما نشرته على صفحات الجرائد والمجلات، وأنا أميل إلى الاعتراف أنها قد لا تكون أحسن ما نشرت من القصص رغم ثناء بعض الأصدقاء عليها. فما أسعدني بعد ذلك إذا صادفها هوَي من نفوس قرائتها، أما إذا لم تصادف ذلك الهوى فأرجو الله أن تصادفه المجموعة الثانية التي سأعنى بها كل العناية.

وإن كان هناك مجال للاعتذار؛ فأنا اعتذر للقارئ بما قد يسوءه هنا من الأخطاء المطبعية، أو رداءة الورق أو الحروف، وإن كانت المسئولية التي أتحملها عن ذلك صغيرة لا تكاد تذكر.

وإني أختتم شاكراً للأدباء ولحرري الصحف الذين كان لكلمات تشجيعهم الدائم أكبر أثر دفعني للعمل والعناء.

فرج جبران

بيان

رأينا أن نكتب كلمة قصيرة عن الكتاب الذين نقلنا عنهم عدداً من القصص ونشرناها في هذه المجموعة. أما الذين نقلنا عنهم قصة واحدة فقد رأينا أن ندع الحديث عنهم لفرصة أخرى.

الفونس دوديه ALPHONSE DAUDET (١٨٩٧-١٨٤٠)

لا يتعدى ما اختزنا له هنا أربع قصص أخذناها من «رسائل من طاحونتي Letters de mon moulin»، كتبها دوديه وهو يتمتع بالوحدة والراحة في الريف الهادئ في إحدى طواحين الهواء المهجورة بوادي الرون في قلب مقاطعة بروفنس، بالقرب من جبل مغطى بأشجار السرو والصنوبر، وقد اشتري الكاتب هذه الطاحونة كي يكتب فيها، وذكر شيئاً من تاريخ الطاحونة نفسها في قصته «سر المعلم كورنيل» وتتجدها على «سر المعلم كورنيل» من هذا الكتاب.

وألفونس دوديه ليس في حاجة إلى التعريف؛ فهو من أشهر الكتاب الفرنسيين، اشتهر بقصصه وصوره، وكلها من النوع الذي لا يكاد يقرؤه قارئ حتى يصل إلى قراره قلبه.

ولد دوديه ببلدة نيمو، ومن أشهر أعماله إلى جانب «رسائل من طاحونتي»: الشيء الصغير - ترتران - جاك - سافو - نومارومستان. ويمتاز بدقة الملاحظة وسهولة الإدلاء والتصوير مع سهولة التراكيب.

لويز هيلجرز LOUISE HELIGERS

هذه كاتبة إنجليزية محدثة، تجد في قصصها الوصف الهدائى الساكن، تلقىه امرأة في حديث طبى لا أثر للكلفة أو الصناعة فيه.

وما أسرع أن تصل قصصها القصيرة إلى القلوب، شأن كل حديث يتجلّل للإنسان صدقه وإخلاصه، ويمكّن عليه مشاعره، وإنك لتشعر وأنت تقرأ قصصها القصيرة كأنك تسير جنباً إلى جنب مع شخصياتها وتشعر بنفس شعورهم.

وربما كان طبيعتها النسائية أكبر أثر في ذلك وفي نعومتها أيضاً.

وإذ تتحدث عن الحب في قصة من قصصها تجعلك تشعر بصدق ذلك الحديث وصدق ذلك الحب وقدسيته، ومن يصدق في وصف شعور المرأة أكثر من المرأة نفسها؟ وخير تذكرة لها ما ذكره أحد كبار كتاب وعلماء إنجلترا في مقدمة كتابها الثاني More Tabloid Tales: «إن لويز هيلجرز أكبر كتاب القصص القصيرة في العالم الآن». ولنا أن نذكر أيضاً أن قصتها «عشاء اثنين» التي نشرت في هذا الكتاب قد نشرت أخيراً بين ست قصص قصيرة أخرى جمعت في كتاب واحد، هو: «أشهر ست قصص قصيرة في العالم».

مارسيل بريفو MARCEL PREVOST

روائي فرنسي مشهور. ولد في باريس يوم أول مايو سنة ١٨٦٢، تعلم في مدارس «الجزوئية»، ودخل مدرسة الهندسة سنة ١٨٨٢، ولكنه ترك الهندسة بعد بضع سنوات من نهاية دراسته إلى صناعة التبغ. ونشر بعد ذلك «العقاب» (١٨٨٧)، «شونشيت» (١٨٨٨)، «مدموازيل جوفر» (١٨٨٩)، «ابنة العم لورا» (١٨٩٠)، «اعترافات عاشق» (١٨٩١)، «رسائل النساء» (١٨٩٢). وفي سنة ١٨٩٤ أحدث ثورة فكرية عظيمة بدراسة مبالغة ثائرة حول نتائج التعاليم الباريسية والمجتمع الباريسي على الفتيات والعذارى، وهي «إنصاف العذارى»، وقد لاقت أعظم نجاح. وُيظهر فيها الفتاة وهي تتهاون بعرضها قبل الزواج وتبثث مع مختلف الشبان عبئاً غير بريء، ليس هذا مقام بحث تلك الرواية، ولكننا نقول عنها شبّهة برواية فكتور مرجريت «لاجرسون» أو الفتاة المسترجلة. وظهرت «رسائل إلى فرنسواز» سنة ١٩٠٢، وفي سنة ٤ ١٩٠٤ نجح نجاحاً باهراً برواية تمثيلية هي: «أضعفهن»، وفي سنة ١٩٠٩ انتخب عضواً في مجمع العلوم الأكاديمية.

قصص عن الكاتب الفرنسي الشهير
ألفونس دوديه

الوزير في الريف

الوزير يمر في المقاطعة، فسائق العربية جالس في أمامها والحجاب في خلفها. أما عربة الوزير فتدرج به نحو الاجتماع السياسي المحلي في «كومب أوفيه»، ولهذه المناسبة المهمة يلبس الوزير سترته المذهبية، وقبعه العالية، وسيفه، وقد وضع على ركبتيه حافظة أوراقه الجلدية، وكان يحدّق فيها بنظره. الوزير يحدّق في حافظة أوراقه الجلدية بنظر تائه، وهو يفكّر في تلك الخطبة الرنانة التي سيُلقِيَها على أهل «كومب أوفيه» ... «أيها السادة الأفضل والإخوة العمال ...»

ثم يشتد في الضغط على شاربه الأصفر، ويكرر الجملة مرات: «أيها السادة الأفضل والإخوة العمال ...» ولكنه لم يكن ليذكر شيئاً يتبع به هذه الجملة ... وهو يشعر بالحرارة في داخل العربية، وإذا ألقى بنظره إلى الأمام رأى طريق «كومب أوفيه» وهو يمتدُّ أمام ناظره، والهواء يهب علياً، والطيور الصغيرة تتجاوب من فوق الأشجار.

وتطلع الوزير فجأة إلى المنظر، فهناك على مسافة ليست بالبعيدة وعلى سفح التل رأى غابة صغيرة من شجر السنديان، وكأنها كانت تنحنى إلى الأمام إجلالاً له! كانت غابة السنديان كأنها تنحنى له قائلة: «لماذا لا تأتي هنا أيها السيد الوزير؟ إنه لمن دواعي راحتك أن تحضر خطبتك تحت أشجارِي.»

وكم سرّ الوزير للفكرة، فهو يقفز من العربة وقد أخبر المرافقين له أن ينتظروه؛ لأنَّه سيحضر خطبته في غابة السنديان الصغيرة، وفي الغابة الصغيرة كثير من الطيور وزهر البنفسج، ومجاري مائية صافية تجري بين الحشائش الخضراء، فعندما رأت الطيور الوزير بلباسه الفاخر وحافظة أوراقه الجلدية خافت وأمسكت عن الغناء، وكذلك النهيرات الصغيرة، فقد انقطع خريبرها. أما زهارات البنفسج فقد احتفت بين الحشائش، ولم يكن أحد من سكان هذا العالم الصغير قد رأى وزيرًا من قبل، فبدعوا يتساءلون في همس

عنمن يكون هذا الرجل الفاضل الذي يخطر في هذه الثياب الجميلة؟ إنهم يتساءلون في همس — من وراء أوراق الأشجار — عنمن يكون هذا الرجل الفاضل الذي يخطر في هذه الثياب الجميلة! أما الوزير فقد سحره هدوء المكان ونقاء الهواء، فهو يخلع قبعته ويضعها بجانبه على الأرض، ويسحب ذيل رداءه، ويجلس هو على العشب بجانب سنديانة صغيرة، ثم يضع حافظة الأوراق الجلدية على ركبتيه ويفتحها ويخرج ورقة بيضاء كبيرة من أوراق الحكومة.

قال الهدى: «إنه فنان!»

فرد طير آخر: «لا، إنه ليس فناناً؛ فملابسـه بيضاء، لا بد أن يكون من الأمراء!»
نعم لا بد وأن يكون من الأمراء!

فرد ببلـل كـهل، كان قد قضـى فصلـاً كـامـلاً من فصـول السـنة في الغـنـاء بـحـديـقـة الـوزـير: «أـنـا أـعـلـم مـا هـو، إـنـه لـوزـير!»

وبـدـأت الغـابة الصـغـيرـة كلـها تـتـهـامـس: «إـنـه وزـير! إـنـه وزـير!»
وبـدـأت قـنـبرـة تـتـحدـثـ: «هـل هـو أـصـلـع الرـأس؟» وـتـسـاءـلـت زـهـرات البـنـفـسـجـ: «هـل هـو قـاسـي القـلـب؟» فأـجـابـ الـبـلـلـ الـكـهـلـ: «لـيس هـوـ».
فعـنـدـما عـلـمـ الطـيـورـ ذـلـكـ، بـدـأـت الغـنـاء ثـانـيـةـ، وـعـادـت المـيـاهـ لـخـرـيرـهـ، وـبـدـأت رـائـحةـ البـنـفـسـجـ تـعـقـبـ المـكـانـ كـأنـ ذـلـكـ الرـجـلـ الفـاضـلـ لمـ يـكـنـ هـنـاكـ ... وـكـمـ اـغـبـطـ الـوـزـيرـ وـسـطـ هـذـا الجـمـالـ!»

ولـا رـفـعـ قـلـمـهـ عـنـ الـورـقـةـ، نـطـقـ بـلـهـجـةـ الـخـطـيـبـ: «أـيـهـا السـادـةـ الـأـفـاضـلـ وـالـإخـوـةـ
الـعـمـالـ ...»

وـأـعـادـ الـوـزـيرـ بـلـهـجـةـ الـخـطـيـبـ: «أـيـهـا السـادـةـ الـأـفـاضـلـ وـالـإخـوـةـ الـعـمـالـ ...» وـلـكـ صـوتـاً
يـقطـعـ عـلـيـهـ حـبـلـ حـدـيـثـهـ فـيـتـلـفـتـ حـولـهـ، وـلـكـنـهـ لـا يـرىـ إـلا طـائـرـاً كـبـيرـاً كـبـيرـاً
مـنـ طـيـورـ الغـابـةـ، فـيـهـ الـوـزـيرـ كـتـفيـهـ وـيـعـودـ إـلـى خـطـبـتـهـ، إـلـا أـنـ الطـائـرـ يـقـاطـعـهـ وـهـوـ يـصـيـحـ:
«مـا فـائـدـهـ هـذـاـ؟»

فـيـرـدـ الـوـزـيرـ وـقـدـ اـحـمـرـ وـجـهـ: «مـاـذاـ تـقـولـ؟ مـاـ الفـائـدـ مـنـ ذـلـكـ؟» ثـمـ يـطـردـ هـذـا
الـطـائـرـ بـحـرـكـةـ خـفـيـفـةـ مـنـ يـدـهـ وـيـعـودـ ثـانـيـاً إـلـى خـطـبـتـهـ قـائـلاً بـأـحـسـنـ لـهـجـةـ:
«أـيـهـا السـادـةـ الـأـفـاضـلـ وـالـإخـوـةـ الـعـمـالـ ...»

وـلـكـ فيـ نـفـسـ الـلـحـظـةـ، تـمـيلـ عـلـيـهـ زـهـراتـ الـبـنـفـسـجـ وـهـيـ عـلـىـ سـيـقـانـهـ الرـفـيـعـةـ وـتـنـتـمـتـ
بـسـكـونـ: «أـيـهـا السـيـدـ الـوـزـيرـ، أـلـا تـتـبـيـنـ مـاـ أـجـمـلـ رـائـحـتـيـ؟!» وـتـلـكـ الـمـجـارـيـ المـائـيـةـ السـائـرـةـ

بين الأعشاب، لقد كانت أصواتها كموسيقى سماوية، وعلى فروع الأشجار فوق رأسه.
كانت الطيور تغنى له أبهج النغمات وأسرّها لفؤاده.
إن الغابة الصغيرة بأكملها تتآمر لتنمّعه من تحضير خطبته، ولما ثمل الوزير
بالرائحة، وسحر بالموسيقى، حاول عبّاً أن يقاوم هذا السرور غير العادي، فهو يتمدد
بنفسه على الحشائش بكل دلال، ثم يفك أزرار سترته المنشاء، ثم يتمتم مراراً ...
«أيها السادة الأفاضل، والإخوة العمال ... أيها السادة الأفاضل، والإخوة العمال ...
أيها السادة والإ ...»

ثم هو يتمنّى بعد ذلك الجحيم لإخوته العمال، ولا يرجو إلّا أن تزيح عروس الزراعة
عن نقابها لتكتشف له عن جمالها.

ألا ارفعي النقاب عن وجهك يا عروس الزراعة!
وأخيراً بعد ساعة من الزمن، عندما قلق خدم الوزير على سيدهم، ذهبوا إلى الغابة
الصغريرة، فرأوا منظراً جعلهم يتراجعون إلى الوراء مذعورين.
فليقدّ كان الوزير منبطحاً على بطنه فوق الحشائش، مفتوح الصدر كأنه من الغجر
... وقد رمى سترته بعيداً عنه، وكان وهو يقرض إحدى زهرات البنفسج بين أسنانه ...
يقرض الشعر أيضًا!

عن «ألفونس دوديه»

عنز المسيو سيكين

لم يكن للمسيو سيكين أى حظ في مashiته، كان يفقد them كلهم بطريق واحد. في يوم من الأيام كانوا يقطعون الحبل الذي كان يربطهم، ويفررون إلى الجبال حيث يفترسهم الذئب؛ فلا الدلال أو اللطف الذي كان يعاملهم به سيدهم، ولا خوف الذئب، كان ليمنعمون من الفرار إلى الجبل، والحق أنها كانت ماشية مستقلة، تطلب الحرية بأي ثمن من الأثمان! وقد قلق المسيو سيكين — وكان لطيفاً طيب القلب — قلقاً عظيماً؛ فإنه لم يكن قد فهم بعد نفسية هذه المخلوقات.

فكان يقول لنفسه: «لقد انتهى الأمر، إن ماشية تسام من سجنها عندي، فلن أربيها إلى الأبد!»

ومع ذلك فقد استعاد شجاعته، وبعد أن فقد ستَّ عنزات في هذا الطريق اشتري السابعة، ولكنه لاحظ في هذه المرة أن تكون صغيرة؛ حتى تشب وقد اعتادت أن تمكث معه بدون أن يعتريها الملل.

وكانت عنزاً صغيرة لطيفة، بعيون صافية، ووجه جميل وحوافر سوداء لامعة، وقرون مستديرة، وشعر طويل أبيض.

وفوق ذلك كانت سهلة القياد، لم تخرج أبداً خارج غرفتها.

عنز ... صغيرة محبوبة!

كان للمسيو سيكين مرغى واسع كله حشائش خلف منزله، وهناك وضع عنزه الجديدة في ركن من الأركان وربطها بحبل طويل، وكان يذهب من وقت لآخر ليعمل لراحتها، وكان يظهر على العنز أنها سعيدة جداً، وكانت تأكل الحشائش بشهية سرّ لها المسيو سيكين كل السرور، وفكّر المسكين قائلاً لنفسه: «أخيراً قدّر لي أن أجد العنز التي لا تتضايق بمعاشرتي.»

وكان مسيو سيكين مخطئاً في حجمه.

في يوم من الأيام نظرت العنز إلى الجبل وقالت لنفسها: «كم تكون الحياة مسرّة هناك في أعلى هذا الجبل! ما ألد الحرية والعدو بلا حبل يخنق؟ ... للحمير والبهائم أن تبقى في الحقول، أما العنوز فتحتاج للحرية». ومن تلك اللحظة فقدت حشائش المرعى نكهتها السالفة، وبدأت العنز تهزل يوماً عن يوم، وقلّ مقدار اللبن الذين يؤخذ منها، وكان من المحزن أن ترى وهي تشد حبلها طول اليوم، ورأسها متوجهة لناحية الجبال، وخياشيمها مفتوحة واسعة، وهي تصيح: «ما ... ما ...!»

وعرف المسيو سيكين أن شيئاً حدث لعنزه، ولكن لم يمكنه أن يتصور ما هو. وفي صباح يوم من الأيام بينما كان بجانبها، أسرّت إليه بلغتها: «أصبح إلى يا مسيو سيكين: لقد سئمت كل هذا، دعني أجري إلى الجبال».

فوقعت آنية الماء من يد مسيو سيكين وصاح: «يا الله! ها هي واحدة أخرى منهن».

ثم جلس بجانبها وقال لها: «بلانكيت، أترغبين حقاً أن تتركي؟»
وأجبت بلانكيت: «نعم».

- «هل عشبك قليل؟»

- «لا يا مسيو سيكين».

- «ربما كان حبك قصيراً، هل أطيله لك؟»

- «إن الأمر لا يستحق ذلك».

- «إذن فماذا حدث؟ ماذا تريدين؟»

- «أريد أن أجري فوق الجبال يا مسيو سيكين».

- «ولكن يا أيتها الخلوقات الغبية، ألا تعلمين أن الذئب يعيش فوق الجبال؟ فماذا أنت صانعة إذا أتاك؟»

- «سانطحه بقروني حينذاك يا مسيو سيكين».

- «سيهزاً من قرونك هذه، فلقد افترس عنوزات لها قرون أطول من قرونك!»

- «ولكن على أي حال، دعني يا مسيو سيكين أجري إلى الجبال».

فصاح مسيو سيكين: «أيتها القواعد العليا، ماذا يحل بعنوزاتي؟ ها هي واحدة أخرى تrepid أن تؤكل! لا، سأنفذك رغمًا عنك أيتها الغبية! وخوفاً من أن تقطعني حبالك سأسجنك في الإسطبل وستتمكنين هناك».

ثم جرّ المسيو سيكين عنذه إلى الإسطبل المظلم وأغلق الباب عليها بالقفل، ومن سوء حظه أن نسي الشباك، فلم يك يبتعد قليلاً حتى كانت قد خرجت منه ...

ولما وصلت إلى الجبل شمل الفرح كل أنحاءه؛ فإن أشجار الصنوبر لم تر شيئاً أبدع من هذه العنزة، وقد استقبلت كملكة صغيرة، أما الأشجار الأخرى فقد أحنت فروعها إجلالاً لها وتحية.

والخلاصة أن الجبل كله احتفل بها ومجدتها.

وكانت سعيدة لا حبل، ولا وتد، ليس هناك ما يمنعها عن القفز والعدو والرعي أنّى أرادت.

وأي عشب، وأي زهر، وأي مرغّى خصيب كانت ترعى فيه الآن وترتع! ... وقد كانت العنزة البيضاء الصغيرة تجُّن فرحاً وهي تنحدر من فوق الجبال، ثم تصعد إليها ثانية حتى إنه لم يكن عليك من حرج لو أقسمت أنه كانت هناك اثنتا عشرة عنزاً من عنزات المسيو سيكين ترتع على الجبل.

وحدث وهي تنتظر مرة من فوق القمة أن لاحت منزل المسيو سيكين في أسفل الوادي بحقله الخلفي، فضحتك حتى سالت دموعها، وقالت: «ما أصغره! ... كيف أمكنني أن أملك فيئه؟!» وفجأة بلا إنذار، بدأ الهواء يهب بارداً، واكتسى الجبل بحلة حمراء، لقد حلَّ المساء؛ فتعجبَت العنزة وقالت: «بهذه السرعة!» وقد انتشر الظل الأسود على المراعي السفلى فظهرت سوداء، واختفى منزل المسيو سيكين وراء الضباب، ولم يعد يظهر منه سوى السقف الذي كان يتتصاعد منه الدخان. أصغت العنزة إلى رنين الأجراس البعيدة للعنزات وهي تساق، قافلة إلى مضاجعها؛ فشعرت بالحزن يدب في فؤادها، ومرّ على ظهرها باز — وهو طائر — وكان راحباً إلى وكره فارتعدت، ثم سمعت من فوق الجبل نباح «عاو ... عاو»؛ فتذكرت الذئب، لقد نسيته هذه الحمقاء طول اليوم، وسمعت في نفس الوقت صوت نفير آتٍ من الوادي، وكان مسيو سيكين الطيب القلب يبذل مجهوداً أخيراً، عوى الذئب: «عوا ... عوا!»

وغنى النمير بنغماته «العودة، ارجعني ...!» كانت لبلانكيت رغبة في العودة، ولكنها تذكرت الإسطبل والجبل والمراعي والمحل، وشعرت بأن لا قبل لها باحتمال هذه الحياة ثانية، وأنه كان خيراً لها أن تظل حيث هي.

وسكَت النمير ... وشعرت العنزة الصغيرة صوت حركة خلفها بين الأغصان، وعندما أدارت رأسها رأت في الظلام أذنين مرهفتين، وعينين لامعتين ... وكان الذئب ...! كان هو الذئب بجسمه الضخم، وهدوئه المعتماد. وقف الذئب بسكون يلاحظ هذه العنزة البيضاء الصغيرة، وهو يفكِّر في التهامها وما فيه من لذة، ولما كان واثقاً من أنها

لن تفر من يده وأنه سيأكلها لا محالة، لم يسرع في عمله، وعندما رأى أنها التفت إليه
بدأ في الضحك!

– «ها ... ها ... أيتها العنز الصغيرة ...» وأخرج لسانه الأحمر ولعق به شفتيه ...
وشعرت بلانكية أنها فُقدت. ولكنها استعدَّت للدفاع، فتدلت رأسها، وحددت قرونها،
وكم كان مظراً لها جميلاً!

لم يكن لها أمل في قتل الذئب، لا؛ فإن العنوز لا تقتل الذئاب، بل على أمل أن تعيش
إلى الفجر ... فقط.

وعندما خطط الوحش إلى الأمام، بدأت القرون تتحرك، يالها من عنز صغيرة شجاعة!
فأي معركة تلك التي وقفت فيها أمام ذئب؟! لقد أرغعته أكثر من عشر مرات أن
يتقهقر أمامها كي يسترد قواه ويتنفس، وكانت في إبان هذه اللحظة الصغيرة تملأ فمهَا
 بكل حرص من عشبها المحبوب، ثم تستمر في العراق وهي تمضغ عشبها ... وقد استغرق
هذا الليل بطوله ...

ومن وقت لآخر كانت عnez المسيو سيكين تلقي نظرة إلى النجوم وهي تضيء في هذه
السماء الصافية، وتقول في نفسها:

لو أمكنني أن أثبتت إلى الفجر فقط؟
وبدأت النجوم تختفي واحدة فواحدة، وضاعفت بلانكية طعناتها ونطحها،
وضاعف الذئب مجده ليتغلب عليها.

وظهر ضوء ضعيف في الأفق، ورنَّ صوت صياح ديك من إحدى المزارع السفلية،
فقالت بلانكية في نفسها: «... وأخيراً ...!» وتأوهت العنز المسكينة، التي كانت تنتظر
الفجر فقط لتموت، ثم وقعت على الأرض وقد تلوث فروها الحريري الناعم بالدماء ...
وتب الذئب على العنز الصغيرة وببدأ في التهامها!

عن «الغونس دوديه»

سر «المعلم» كورنيل

فرنسيه ماماي، رجل كهل من الذين يجيدون اللعب على الصفاره، وهو يحضر من وقت لآخر لكي يُمضي معي المساء في شرب الخمر. قص عليًّ في يوم من الأيام قصة قروية صغيرة، كانت طاحونتي مسرحًا لحوادثها، منذ عشرين سنة تقريبًا، وقد ملكت قصة هذا الكهل عليًّ مشاعري، وسأحاول أن أقصها عليكم كما سمعتها: تصوروا لحظة؛ أي قرائي الأعزاء، أنكم أمام زجاجة خمر، وأن هناك ذلك السيد العزيز يحدثكم: إن قريتنا يا سيدي العزيز لم تكن الحال بها على ما هي عليه الآن من موت وسكون، في تلك الأيام السالفة كان الحال ميسوراً لأصحاب الطواحين، وكان الفلاحون يحضرون إلينا غالباً لطحنتها من بعد عشرة فراسخ. كانت كل التلال المحيطة بالقرية عامرة بالطواحين. لقد كان ممكناً للإنسان – إن تلفت يمنة أو يسراً – أن يرى الأجنحة وهي دائرة فوق أشجار الصنوبر، وقطعان الحمير الصغيرة وهي سائرة، صعوداً ونزولاً، محملة بالزكائب. ولقد كان لطيفاً أن يسمع الإنسان طول الأسبوع أصوات «فرقة» الكرابيج، وأصوات هذه الشراع الهائلة وهي دائرة.

وفي أيام الآحاد كنا نصعد إلى التلال في جماعات، وهناك كان أصحاب الطواحين يقدمون لنا النبيذ الأحمر، أما زوجاتهم فكنَّ أشبه بالملكات في جمالهن بنقبهن وصلبانهن الذهبية. وكنت أنا أستحضر معى صفارتي هناك، فكنا نمضي الوقت إلى ساعة متأخرة من الليل وهن يرقصن رقصهن القروي؛ ومن ذلك ترى أن هذه الطواحين الهوائية كانت مفخرة مقاطعتنا، بل كل ثروتها.

ولكن من سوء الحظ أن فكر بعض الفرنسيين من أهل باريس في بناء طاحونة تدار بالآلات، عند مفترق الطريق إلى ترسكون ...

ولكل جديد طلاوة؛ فلقد فضل أهل القرية إرسال غلالهم إلى الطاحونة الجديدة، ووقفت الحركة في الطواحين الهوائية بعد أن استمرت ببرهة تحارب في موقعة خاسرة؛ إذ إن الآلات كانت قوية جدًا، وبدأت طواحين الهواء واحدة تغلق أبوابها. اختفت تلك الحمير الصغيرة. أما الزوجات الجميلات فقد بُعْنَ صلبانهن الذهبية، واختفى النبيذ الأحمر، وانعدم الرقص. نعم كان الهواء يهب إلا أن شراع الطواحين بقيت ساكنة. حتى أتى وقت هدمت فيه دائرة الكنيسة هذه الطواحين، وزرعت مكانهاأشجار الزيتون والكرום.

غير أنه في وسط هذا الخراب عاشت طاحونة واحدة، واستمرت دائرة بشجاعة، وكانت هي طاحونة «المعلم» كورنيل. وهي هي بذاتها هذه الطاحونة التي نجلس فيها الآن.

كان «المعلم» كورنيل يبلغ الستين من عمره، قضاهما كلها في طحن الغلال. وكان فخورًا بصناعته، وقد كاد يجُنُّ حين استحضرت آلات الطحن الجديدة في القرية. وقد كان نراه مدة ثمانية أيام متولية وهو يسرع الخطأ في القرية ويجمع الناس حوله ويصبح فيهم بأعلى صوته: «إنهم يقصدون تسميم أهل المقاطعة بالدقيق المطحون على الآلات!» وكان يزيد على ذلك: «لا تذهبوا هنا لك، إن هؤلاء الأشقياء يستعملون البخار لعمل الخبز، وهذا اختراع من الشيطان. أما أنا فأشتغل بالرياح الجنوبية والشمالية، التي ما هي إلا نفس الله!»

وكان يجد بعض جمل أخرى طريقة مثل هذه في مدح طواحين الهواء، إلا أنه لم يجد من يُصغي لنصائحه، وبعدئذ في ثورة غضبه سجن ذلك المسن نفسه في طاحونته، وعاش منفردًا كالوحش، حتى إنه لم يسمح لحفيدته الوحيدة «فييفيت» — وهي طفلة في الخامسة عشرة — أن تعيش معه، مع أنها منذ وفاة والديها لم يكن لها في العالم غير جدها، فكانت هذه المسكينة مضطرة أن تسعي وراء عيشها، فكانت تؤجر نفسها في المزارع للحصاد وجمع الزيتون، ومع ذلك كان يظهر أن جدها يحبها غاية الحب.

فكثير ما كان يقطع أربعة فراسخ في الشمس المحرقة كي يتزوَّد منها بنظرة وهي تشتعل، وكان إذا وصل إليها أخذ يرقبها ساعات طويلة والدموع تجول في عينيه! وكانت كل المقاطعة تظنُّ أن هذا الطحان المسن قد أبعد عنه فييفيت لبلده، وأنه كان لا يهمه تنقل حفيته من مزرعة إلى مزرعة معرضة لمعاملة العمال الفظة، ولكل الشقاء الذي تتعرَّض له اليدين المستأجرة، وكانوا يظنون أنه من العار أيضًا أن رجلًا في مقام

«المعلم» كورنيل — وكان إلى ذلك الوقت محترماً غاية الاحترام — يمشي حافي القدمين، بقبعة ممزقة، وثياب مهلهلة ... والحق أنه عندما كان يحضر للكنيسة في أيام الأحاداد كان جميعاً نخجل منه ونرثي لحاله، وعندما تبيّن له ذلك غير مكانه القديم، فكان يجلس في نهاية الكنيسة مع الفقراء.

أما اللغز الوحيد في حياته فقد كان استمرار دوران أجنبة طاحونته، رغم عدم إقدام أحد على إحضار غلاله إليه. ولقد كنت في المساء تقابل هذا الطحان المسن وهو يسوق حماره المحمل بأكياس الغلال، وكان الفلاحون يصيرون به: «مساء الخير يا معلم كورنيل! الطاحونة تشتغل أليس كذلك؟»

فكان يجيبهم منشراً: «هي شغالة دائمًا، فلنشكر الله فالعمل كثير».

ثم إذا تساءل أحد: من أين كان يأتي له كل هذا العمل؟ وضع الرجل أصبعه على شفتيه وأجاب: «لا تنبوسا ببنت شفة، فأنا أشتغل بالتصدير!» ولم يكن مسموحاً لأحد بالمرأة بالدخول إلى الطاحونة، حتى الصغيرة فيفيت لم يكن مصححاً لها، وكان المار في الطريق لا يجد الباب إلا مغلقاً، والطاحونة دائرة والحمير التي بلغت من السن عتياً ترعى على الرصيف، وكانت هناك قطة تنظر شذراً للمارين وهي جالسة في الشمس على حافة الشباك.

لقد كان الأمر محظياً بالأسرار، حرّك الألسنة بالحديث، وكان لكل واحد نظرية مختلفة في سر المعلم كورنيل. أما الفكرة العامة فهي أنه كان يُخفي داخل طاحونته أكياساً من النقود لا الدقيق.

... وأخيراً انكشف السر بهذه الطريقة؛ بينما كنت أعزف على صفارتي للشبان عند الرقص في يوم من الأيام؛ إذ تبيّن لي أن ابني الأكبر قد هام غراماً بفيفيت، فلم أغضب؛ فإن اسم كورنيل كان اسمًا شريفاً، وفوق ذلك فقد كان مما يدخل السرور إلى قلبي أن أجده هذه العصفورة الصغيرة — فيفيت — وهي تمرح في منزلي، ولكن لما كانا هو وهي دائماً معاً؛ فقد رأيت أن أحاط للأمر من مبدئه كي تجري المياه في مجاريها في المستقبل؛ فسررت إلى الطاحونة كي أتحدث مع جدها.

ويا للعجب! لكم كان يسرك أن ترى كيف استقلبني، لقد رفض أن يفتح الباب، ولقد شرحت الأمر مفصلاً والباب مغلق في وجهي من موضع المفتاح، وفي إبان حديثي لم تقطع القطة الملعونة عن المواء فوق رأسني!

ولم يترك لي هذا الكهل فرصة أخرى كي أنتهي من حديثي، فقد خاطبني بغلظة أمرًا أن أرجع إلى صفارتي، وإذا كنت أريد أن أزوج ابني فأولى أن أبحث عن فتاة في معلم من المعامل!

ويمكنك أن تتصور كيف صعد الدم إلى رأسي عندما سمعت هذه الكلمات، ومع ذلك قد هدأت ثائرتي، ورجعت تاركًا هذا الأبله في طاحونته؛ كي أقص على الطفلين قصة فشلي.

ولقد كان من الصعب عليهما أن يصدقوا. ولقد توسلًا إلى أن أرجع معهما إلى الطاحونة كي تتحدث إلى الجد، ولكنني رفضت. وما أسرع أن رأيتهما وقد ذهبا بلا ثالث. وعندما وصلا وجدا المعلم كورنيل قد خرج وأغلق الباب، ولكنه ترك سلمه الخشبي في الخارج، وخطرت الفكرة في بالهما فجأة أن يصعدا ويدخلا عن طريق النافذة ليعرفا حقيقة ما كان داخل هذه الطاحونة المشهورة!

ويالغرابة! لقد كان المخزن خاليًا، لم تكن هناك حبة واحدة، لم يكن هناك أثر للدقيق حتى على الحائط، لم تكن هناك تلك الرائحة الجميلة، رائحة الدقيق المطحون، التي تغشى عادة كل طاحونة. كان داخل الآلة فارغاً مغطى بأكواب التراب، والقطة الكبيرة نائمة عليها. أما الغرف السفلى فقد كانت على نفس هذا الحال الغريب، فراش مكسر، بعض خرق بالية، وبضع كسرات من الخبز ملقة على السلم، وفي ركن من الأركان ثلاثة أو أربع أكياس ممزقة، وقد تفجر منها الملاط والطباشير! وكان هذا هو سر المعلم كورنيل، هذه هي «البضاعة» التي كان يحملها في المساء بين الوديان كي ينفذ شرف طاحونته، ويجعل الناس يصدقون أنها غلال! مسكنة أيتها الطاحونة القديمة! مسكن أي كورنيل الكهل! لقد كانت الطواحين الجديدة التي تدار بالآلات سببًا في إبدال عادات، نعم كانت شرائع طاحونة كورنيل دائرة إلا أن الطاحونة كانت فارغة.

ورجع الصغيران والدموع تجول في مآقيهما، وقصاصاً على ما رأياه، وكم تأثر قلبي بما قصّاه، ولم أضيع دقيقة واحدة في الذهاب إلى الجيران، وأخبرتهم جلية الأمر في كلمات قليلة، واتفقنا جميعاً على أنه يجب إرسال كل الغلال الموجودة بالقرية إلى طاحونة المعلم كورنيل، وكان التنفيذ سريعاً كالاتفاق؛ فقد خرجت القرية كلها، ووصلنا كلنا بموكب حافل مع الحمير المحملة بالغلال، غلال حقيقة هذه المرة.

وكان باب الطاحونة مفتوحاً على مصراعيه، وفي الخارج جلس المعلم كورنيل على كيس من الملاط وهو يبكي برأسه بين كفيه؛ فقد عرف عند رجوعه أن هناك أحداً قد دخل

الطاحونة واكتشف سره، وكان يبكي: «ويل لي! لم يبق لي إلّا أن أموت، لقد ذهب شرف الطاحونة!»

وكان يشقق بالبكاء وينادي طاحونته بأرق الأسماء وألطافها، لأنها كانت كائناً حياً. وعندما وصلنا إلى الرصيف بدأنا نناديه جمِيعاً نداءات الأيام الخالية السعيدة: «هذا أيها الطحان ... هنا يا معلم كورنيل». وتكونَت الأكياس أمام الباب، وبدأت الحبات الصغيرة تتدحرج على الأرض في كل ناحية.

وقد حد المعلم كورنيل فيها بعينيه، ثم لم يلبث أن وضع يده في كيس من الأكياس وأخرجها ملائكة، ثم نظر فيها وقال ضاحكاً وصائحاً: «غلال وبح نفسِي! غلال طيبة! دعوني أتزود منها بنظرة!» ثم التفت إلينا وقال: «كنت أعلم أنكم سترجعون إلّي، إن هؤلاء الأجانب ليسوا إلّا لصوصاً». ولقد كانا تُريد أن نحمله كالفالائز المنتصر ونمرّ به في القرية. - «لا، لا، يا أصدقائي، يجب عليّ أولاً أن أغذِي الطاحونة ... فكرروا، منذ عصور وعصور لم تضع شيئاً بين أسنانها».

وقد كادت عبراتنا تجري ونحن نرى هذا الكهل المسكين وهو يجري هنا وهناك مفرغاً الأكياس وملاحظاً الطاحونة وهي تطحن الغلال، والدقيق وهو نازل منها إلى ناحية الحائط.

ويجب أن تذكر لنا هذه الحسنة، فمنذ ذلك اليوم لم نترك الطحان الكهل بلا عمل. ولكن أخيراً، تُوفّي المعلم كورنيل في صباح يوم من الأيام، ووقفت شراع آخر طاحونة بقيت لنا عن الدوران ... وإلى الأبد هذه المرة.

مات المعلم كورنيل، ولم يتقدم أحد ليحل محله.

نعم، نعم، لكل شيء في هذه الحياة نهاية، وأحسب أن يوم طواحين الهواء قد انتهى كما انتهى زمن قوارب الركاب على الرون، وأيام الجمعيات الوطنية في فرنسا.

عن «الغونس دوديه»

وفاة ولي العهد

ولي العهد الصغير مريض، ولي العهد الصغير على شفا الموت، في كل كنائس المملكة تلقى الصلوات والشموخ الطويلة تحترق على أمل أن يشفى الطفل الملكي، في شوارع العاصمة القديمة حزن وسكون، ولا يسمع قرع للأجراس. أما العربات فتسير ببطء متمهّلة، وحول القصر اجتمعوا الجماهير ترقب ما يجري باهتمام خلال القضبان، أما حرّاس الأبواب بملابسهم الذهبية الرسمية فقد اجتمعوا في الردهات يتكلمون باهتمام.

إن القصر كله في قلق، فالوصيفات ومديرو القصر يسارعون هنا وهناك على الأدراج الرخامية، أما الأروقة فمملوقة بالخدم والحجاب بملابسهم الحريرية وهم ينتقلون من جماعة إلى جماعة لكي يتسمّعوا الأخبار الأخيرة بأصوات ضعيفة. أما على السطح الواسع فإن حاجبات الشرف ينحدن لبعضهن في التحية وهن يجففن أعينهن بمناديلهن المزخرفة الجميلة.

وعند حديقة البرتقال مجمع مزدحم من الأطباء، ومربي ولي العهد ونائب الملك يروحان جيئاً وذهاباً خارج باب الحديقة في انتظار قرار المجمع، ويمر من أمامهما الخدم بدون أن يحيوهما. أما نائب الملك فهو يقسم ويجدف بالله كالكفرة، والمربي فهو يتلو شيئاً من «هوراس»، وفي كل آونة تأتي من ناحية الإسطبلات صهلاً عالية، هذا حسان ولي العهد الكستنائي وقد نسيه الخدم، فهو يشكو بغضب عندما يواجه مذوده الفارغ.

والملك؟! أين جلالة الملك؟ لقد أغلق الملك غرفته على نفسه منفردًا في الجانب الآخر من القصر، إن الملكية تأبى أن يراها أحد وهي تبكي! أما الملكة فشأنها شأن آخر؛ فهي جالسة بجانب سرير ولي العهد، ووجهها مندي بالدموع، وهي تشھق بالبكاء بصوت عالٍ قبل أي شخص آخر، وما كان أشبهها حينئذ بزوجة تاجر أقمشة بسيط! وفي وسط

سريره المغطى بالشرائط، يجلسولي العهد بوجه أبيض من فرش سريره ووساداته، وبعيينيه المغلقتين، وهم يظنون أنه نائم، ولكن لا إن ولـيـ العـهـد الصـغـير لـيـسـ بنـائـمـ، فـهـوـ يـدـيرـ رـأـسـهـ إـلـىـ نـاحـيـةـ أـمـهـ، وـعـنـدـمـاـ يـرـاـهـ باـكـيـةـ يـقـولـ لـهـاـ: مـاـذـاـ تـبـكـيـنـ جـلـالـتـكـ؟ـ هـلـ تـظـنـنـ حـقـاـ أـنـنـيـ سـأـمـوتـ؟ـ

تحاول الملكة الكلام، غير أن شهقاتها تمنعها.

- لا تصرخي يا صاحبة الجلالة، إنك تنسين أنتيولي العهد، وأن ولـيـ العـهـدـ لـنـ يـمـوتـ هـكـذاـ!!

أما شهقات الملكة فيزداد صوتها في الارتفاع، حتى إن الرعب يبدأ يدب في قلب ولـيـ العـهـدـ وهوـ يـقـولـ: لـاـ أـرـيدـ أـنـ يـأـتـيـ الـمـوـتـ وـيـأـخـذـنـيـ، وـأـنـ أـعـرـفـ كـيـفـ أـمـنـعـهـ مـنـ الدـخـولـ إـلـىـ هـنـاـ.

مرورهم أن يرسلوا إلى في الحال أربعين من طوال الفرسان لكي يتولوا الحراسة هنا حول سريري، وليسعدوا بمائة مدفع عظيم، ليل نهار، بنار متأججة تحت شبابيكـيـ.
وبعـدـئـذـ إـذـاـ أـتـيـ الـمـوـتـ فـلـيـاتـ مـخـاطـرـاـ بـنـفـسـهـ!

ولـكـيـ تسـكـنـ الطـفـلـ الـلـكـيـ، تـشـيرـ الـمـلـكـةـ، وـفـيـ الـحـالـ، كـانـ يـمـكـنـ لـلـإـنـسـانـ أـنـ يـسـمعـ المـدـافـعـ الـعـظـيمـ وـهـيـ تـتـدـرـجـ فـيـ الرـدـهـ، وـأـنـ يـرـىـ أـرـبـعـينـ مـنـ طـوـالـ الفـرـسـانـ وـقـدـ اـحـتـمـلـواـ رـمـاـحـمـ الـطـوـيـلـةـ، أحـاطـواـ بـالـغـرـفـةـ.

وقد عـرـفـ ولـيـ العـهـدـ أـحـدـهـ فـهـوـ يـنـادـيـهـ: لـورـينـ ...ـ لـورـينـ.ـ
ويـقـدـمـ الجـنـديـ المـسـنـ خـطـوـةـ نحوـ السـرـيرـ: إـنـيـ أـحـبـكـ يـاـ عـجـوزـيـ لـورـينـ، أـرـنـيـ سـيـفـكـ الطـوـيـلـ، إـذـاـ حـاـوـلـ الـمـوـتـ أـنـ يـأـخـذـنـيـ فـسـقـتـهـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ـ وـيـجـبـ لـورـينـ: نـعـمـ يـاـ أـمـيـريـ.ـ وـتـتـحدـرـ دـمـعـتـانـ كـبـيرـتـانـ عـلـىـ خـدـهـ المـجـعـدـ.

وـفـيـ هـذـهـ اللـحـظـةـ يـتـقـدـمـ القـسـ إـلـىـ ولـيـ العـهـدـ، وـيـحـثـهـ مـدـةـ طـوـيـلـةـ بـصـوـتـ مـنـخـفـضـ مـظـهـرـاـ لـهـ الصـلـيـبـ، وـيـُـصـغـيـ إـلـيـهـ الطـفـلـ وـلـيـ العـهـدـ بـنـظـرـةـ عـجـبـ، ثـمـ يـقـاطـعـهـ فـجـأـةـ: إـنـيـ أـفـهـمـ مـاـ تـقـولـ يـاـ سـيـدـيـ الـأـبـ، وـلـكـنـ أـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـمـوتـ صـدـيقـيـ بـيـبـوـ بـدـلـاـ مـنـيـ إـذـاـ أـعـطـيـ نـقـوـدـاـ!ـ!

ولـكـنـ القـسـ يـسـتـمـرـ فيـ حـدـيـثـهـ بـصـوـتـ مـنـخـفـضـ، وـيـزـدـادـ الطـفـلـ وـلـيـ العـهـدـ اـسـتـغـرـابـاـ، وـإـذـاـ اـنـتـهـيـ القـسـ يـقـولـ وـلـيـ العـهـدـ بـأـنـّـهـ عـمـيـقـةـ: إـنـ كـلـ مـاـ ذـكـرـتـهـ لـيـ مـحـزـنـ جـدـاـ يـاـ سـيـدـيـ الـأـبـ، وـلـكـنـ شـيـئـاـ وـاحـدـاـ يـعـزـيـنـيـ، وـهـوـ أـنـ هـنـاكـ فـيـ جـنـةـ النـعـيمـ سـأـظـلـ وـلـيـ عـهـدـ أـيـضاـ ...ـ إـنـيـ أـعـلـمـ أـنـ اللـهـ أـبـنـ عـمـيـ، وـلـنـ يـغـفـلـ أـنـ يـعـاـمـلـنـيـ حـسـبـ مـرـكـزـيـ!

ثم يضيف ملتفتاً إلى والدته: «أريد أن يستحضروا لي أجمل ملابسي، أريد سترتي البيضاء المزينة بالفرو، وحذائي المصنوع من المخمل، أريد أن أتألق لأجل الملائكة ولكي أدخل الجنة لابساً للباس اللائق بولي العهد!»

وينحنى القس للمرة الثالثة على الطفل ولي العهد ويحدثه بصوت منخفض، وعندما يستمر في الحديث يقاطعه الطفل الملكي معارضًا: «ولكن في هذه الحالة ما هي الفائدة من أن يكون الإنسان ولي عهد؟»

وبلا رغبة في استماع كلمة أزيد من ذلك يدبر ولي العهد الصغير رأسه إلى ناحية الحائط ويبكي بمرارة!

عن «ألفونس دوديه»

الفراشة الراقصة

ابتدأت الأوركسترا في العزف، ثم ارتفع ستار المسرح بحركة لطيفة، وظهر قوام صغير ابتدأ في الرقص. وقد التفت إحدى المترجلات إلى رفيقها وهمست في أذنه: «الفراشة الراقصة!» وجلس أحد النظارة أمام المسرح تماماً، وقد اصفر وجهه لما دارت في خلده فكرة الهرب مع هذه الغادة في يخت كان ينتظرها، وابتدأت حماسة الرقص على المسرح؛ إذ خاير «رامون سانشيه» روزا «الفراشة الراقصة».

أخذ الرقص طريقه، فكان حيناً يسرع وحياناً يبطئ، وأخيراً ... ألقى روزا بنفسها بين ذراعي مخاصرها مستقبلة الخنجر الذي طعنها به فأنهى الرقص!
وهنا ... في تلك اللحظة وضع شفتيه عند أذنها وقال: موتي! أي زهرة الإسبان
اليائعة، لقد ردتني الله.

وقد أصفت الفراشة لتلك الكلمات، ثم ردت قائلة: الوداع يا رامون ... إنني أموت ...
وهنا سقطت على الأرض والدم يتفجر من جرحها، وقام المترجلون وهم يصيحون
... أما الشاب الذي كان جالساً أمام المسرح تماماً فقد وضع رأسه بين يديه وأخذ يبكي
كالأطفال.

كان رامون سانشيه طويلاً القامة، نحيف الجسم، أسمراً الوجه، وكان أنبغ راقص في إسبانيا.

أما رفيقته — الفراشة الراقصة — فكانت تختلف عنه؛ إذ كانت صغيرة القد، ضحوكية، باسمة الثغر، زرقاء العينين، ونظرة واحدة إليهما وهما يرقصان تكفي أن تُعيد إلى ذهنك المعنى الشعري للحركة، وتجعلك ترى شيئاً جميلاً يملك عليك عواطفك فتنتبه إليه بكل حواسك.

وقد راجت الإشاعات عن علاقاتهما، على أن الأمر كان أبسط مما تقول الناس، ولكنه غريب على كل حال؛ فقد سرق رامون سانشيه الفراشة الراقصة من الله — وكان يعترف بذلك — إلّا أنه كان يقول إنه سيرجعها لله ثانية يوماً ما، وكان يؤكّد أنه وعد بذلك، وأنه لن يخلف الوعود.

وجدها في حديقة دير، بينما كان يسبح منفرداً في إسبانيا، وكانت ترقص بين الأزهار، وقد سقط ضوء الشمس على وجهها فأكسبها جمالاً وجلاً، ولاحظ رقصها بضع دقائق، ثم قفز من الحاجز الذي كان يفصله عنها، وذهب إليها فصرخت من دهشتها؛ إذ وجدت يدين قد التفتا حول خصرها، ونظرت بذهول نحو الطارق المفاجئ، فقال لها: «انظري يا «سنويوريتا».» وابتداً يرقص أمامها رقصًا لم يرقصه أمام الملوك، وكانت الفتاة تلاحظه وعلى فمهما ابتسامة إعجاب، ولما انتهى قالت له: الحق يا «سنويور» إن هذا النوع من الرقص هو الحياة بعينها.

قال لها بهدوء: تعالى معي؛ فنرقص سوياً في العالم الواسع؛ فإنك قد خلقت لهذا. فذهبت معه والفرح يملأ قلبها وعلى فمهما ابتسامة، وقد ساعدتها على القفز فوق الحاجز، ثم ركبت معه على جواهه، وقالت له في الطريق: آه يا «سنويور» إني قضيت كل حياتي في الدير، وكم كنت أتمنى أن أخرج منه، فإذا كنت مكثت فيه سنة أخرى لأصبحت راهبة، ولكن السيف قد سبق العذل! فقال رامون باستغراب: راهبة؟

قالت له ضاحكة: نعم راهبة، وأنا لا أريد أن أكون راهبة، وإنه لمن المحن أن أكون راهبة، وأنا لم أخلق لأحزن، كما أني لا أحب الحزن!

ولكن رامون كان منشغلًا بأفكاره عن مزاحها؛ فقد عرف أنه سرقها من الله، ولا ريب أن الله يغضب لسرقة هذه الفتاة الجميلة، ذات العينين الزرقاء، وقد غلى دمه في عروقه؛ إذ فكر في غضب الله، وفي تلك اللحظة نطق رامون بوعده لله: «يا ذا الرحمة، لقد استعرت ابنتك الصغيرة، إن الدنيا لفي حاجة إلى الجمال والسرور، وهي جميلة، ولكن سأرجعها إليك في يوم من الأيام، أنا «رامون سانشيه» أعد بذلك مقسماً بدم والدتي».

نطق بهذا الوعد مرة ثانية وهما في الطريق لما عقد عليهم الكاهن، وهكذا صارت «الفراشة الراقصة» شريكة حياة «رامون سانشيه» الراقص الإسباني الكبير. وتجلوا من مملكة إلى أخرى يرقصان معاً في سبيل الشهرة، وأخيراً رجعاً إلى بلدهما، وكان رامون يراقب الفراشة باهتمام غريب، ويرجع هذا إلى حبه وإلى وعده، فكانت هي

لا تتحمل أعباء المسئولية عن نفسها، وكانت ميالة إلى المخاطرة تعتبرها ضرباً من ضروب التسلية، وكانت مغرومة بالجواهر والأحجار الكريمة، ولكلّ كانت تحب أن تشارك الجمهور المزدحم الذي ينتظرها على باب المسرح كلّ ليلة في سروره ومزاشه، إلا أن رامون لم يسمح لها بذلك.

وحدث مرة أن رأى دبوساً ماسياً على صدرها، فهجم عليها وانتزعه منها بقوه، وقال لها محذراً: هذه الأشياء ليست لك يا روزا، فإنها تهدى ليطالب بثمنها، وهو شبابك وابتسماتك.

فقالت له بحزن عميق: أليس لي شباب وابتسم يا رامون؟ ذعر عندما أجابته بذلك، فهل استعارها من الله لذلك الغرض؟ وإذا استمر الحال على هذا، فهل يتمكّن من إرجاعها؟ وهل يتقبلها الإله الثانية إذا هي فعلت ذلك؟ وفي المرة الثانية، وجدتها تقبل هدية ثمينة من الحلي، فضربها ضرباً مبرحاً بسوطه، وأخيراً راحت إلى رجليه، ومسحت خديها على حذائه؛ دليلاً على الخضوع والطاعة، فرفعها بين يديه وقبّلها وقال لها: إني أؤلم جسدك لأصلاح نفسك، فقالت له: كنت أود ألا يكون من الضوري أن تصلاح نفسي لهذه الدرجة، فقد أكون مستريحه يا رامون! وهنا وضح لها لأول مرة، لماذا يجب أن تكون نفسها نقية إلى هذه الدرجة، فقالت: عندما أكبر في السن يجب أن أرجع، وأذهب بعيداً عن هذا العالم المضيء، الذي أحببته هذا الحب، حيث يقص شعري وألبس السواد، ولا أكل إلا العيش القفار، ولا أشرب غير الماء، آه يا رامون ما أقساك! فقال لها: لقد وعدت بذلك يا روزا.

فسكتت خيفة سوطه، إلا أن الزوبعة ثارت في قلبها، وقد بدأت تعرف الحقيقة من ذلك الوقت، فكانت تحذر رامون وترافقه خيبة أن يغدر بها إذا لاحظ منها شيئاً، وقد انصره ذلك الحب الذي كانت تبادله إياه لما عرفت حقيقة أغراضه وأصبحت الرابطة الوحيدة بينهما هي رابطة الرقص.

ومر الزمن وكانت شهرتهما آخذة في الانتشار، وكانت روزا تطلب من الله أن يخلصها من رامون، فكان يظهر أثر ذلك في عينيها الزرقاويين. أما في عيني رامون السوداويين فكان يظهر الإصرار على تنفيذ ما وعد به، ولما كانت روزا صغيرة أجيبيت صلاتها.

كان «فرنون سيلي» شاباً جميلاً، وكان يذهب كل ليلة إلى المسرح ويجلس في نفس محل الذي تعود أن يجلس فيه، يأمل نظرة من «الفراشة»، وكان يرسل إليها كل ليلة باقةً من الزهر الأحمر، وفي داخلها كلمة صغيرة، وكانت روزا تتقبّلها منه بالشكر.

وكانت تخفي الورقة داخل ثوبها قبل أن تقدم لرامون الورد، وبالرغم من عناية رامون بمراتبها، تمكّنت من مقابلة «فرنون»، وتمكنت من التحدث إليه والجلوس معه مدة طويلة، حتى تجاسرت يوماً، وطلبت منه أن يأخذها بعيداً عن رامون، قائلة: لقد سرقني هو فاسرقني أنت الآن!

وقد أخبرته بفرارها من حديقة الدير، ولم تخبره بزواجهما من رامون، وأخيراً وافقها فرنون على الفرار مدفوعاً بنزق الشباب، فقالت: ولكن يجب أن تأخذني بعيداً عن رامون، رامون القاسي.

وحذّدا ليلة الهرب، وعيّنا لها ميعاداً بعد انتهاء العمل تلك الليلة، وكان على روزا في تلك الليلة أن تلبس رداء فوق رداء الرقص وتذهب توّا إلى سيارة تنتظرها خارج المسرح فتركها، غير أنها سأّلته: وهل يجب أن أترك جواهري الثمينة؟ آه، جواهري وردائي الذهبي ...!

فأجابها: سأشترى لك غيرها، فأنا لا أرتاح إلى نظرات ذلك الرجل، وأمنّ لنا أن نتركها؛ فإنه خطير، فرددت روزا قائلة: ولكنه سهل الانخداع؛ فهو غبي!

وقد ابتدأت فعلاً تهرب جواهيرها الثمينة إلى المنزل الذي كانت تقابل فيه فرنون، وتجاسرت يوماً أن تصرح أمام رامون قائلة: هل تظنّ أني أرجع للدير يوماً ما؟ كلا ... ولكنها تذكرت فجأة فرقعة سوطه فسكتت، واستدركت قائلة: إني في حالة ردئية اليوم، فاعذرني يا رامون.

وابتدأت ترقص؛ لعلها أن الرقص يوقف تيار أفكاره السوداء، ولكنه قال: كان يجب عليّ أن أرسلك قبل الآن، يظهر أنني تأخرت روزا، أين الرداء الذهبي؟ وكانت تتوقع هذا السؤال قبل تلك اللحظة، فأجابت: لقد أرسلته لينظّف.

- وأين عقد الجواهير؟ أجابت: قطع خيطه فأرسلته ليصنع له خيط جديد.

فسكتت. وفي تلك الليلة لما وصل إلى المسرح وكانت روزا قد سبقته، أوقفه خادم الباب وكان إسبانيّاً، وقال له: إنني أسف «يا سنيور» رامون؛ لأن «السنيورا» ستفارقنا؛ فقد أرسلت كل أشيائهما، وأسفاه كم كانت لطيفة شفوفة ...

ذهل رامون من هذا الخبر، ورجع إلى غرفة روزا، وبحث ونقب؛ فوجد أن رداءها الذهبي وعقد الآلئ، وكل الأشياء الثمينة الأخرى التي أهدتها إليها مفقودة، فكظم غيظه وحنقه، ولما رجع قال لخادم الباب: نعم يا بدورو، ستتركتنا «السنيورا».

وأسرع فرأى روزا تنتظره بفروغ صبر، فقال لها: إنك نافذة الصبر هذه الليلة يا روزا، فالتفتت إليه بربع، ورأت تغييراً في لهجته وشكله، فقالت: لقد تأخرنا ...

ثم ذكرت أنها ستكون بعد مدة وجيزة حرة من رامون وسوطه، فترى أشياء تمنَّت رؤيتها من زمان بعيد بعيد، وتصورت نفسها في اليخت إلى جانب «فرنون».

ولم يتكلم رامون كثيراً في تلك الليلة، ثم صدحت الموسيقى معلنة ابتداء رقصهما، والآن وقد قربت ساعة الفرار شعرت بالخوف يدبُّ في قلبها لسبب خفي، وكانت تقع في أول الرقص، ولم يتقدم رامون لمساعدتها، بل كانت عيناه تحدقان في الفضاء، لكم كان هذا الموقف مخالفاً لوقفهما في أيامهما الأولى قبل أن يضم رامون نهايَّاً على منهاها عن العالم! مسكي رامون؛ ربما حزن لفقدها، وربما حزن هى الأخرى لفقده — ولو قليلاً — ولن يمكن لأي إنسان أن يرقص معها مثل رقص رامون، وسيحزن «بدرُو» خادم الباب المسن لفقدها، فيجب أن ترسل له هدية؛ كل هذه الخواطر كانت تدور في مخيلتها في تلك الساعة. وهنالك في «اللوج» أمامها كان «فرنون» جالساً، وستذهب إليه سريعاً فترتمي بين ذراعيه، بلا معطف يُخفِّي رداءها الأحمر.

وأرادت أن تُخفي اضطرابها؛ إذ ميزت خطأها لما رأت هدوء رامون، ولكن إذا كان رامون قد عرف فهل يكون في مثل هذا الهدوء؟ ثم وجدت رامون يتبعها بنظرات كلها سخرية؛ فارتعدت لما رأت نظرته، فقد كانت نظرة قاسية سوداء، وأخيراً ... شكرت الله إذ سمعت التحويل الموسيقي الذي كان ينبيء بانتهاء الرقص؛ ستكون السيارة معدة عند باب المسرح، واليخت عند الميناء.

وعند انتهاء الرقص سمحت لرامون أن يمسكها؛ فطعنها بالخجر بدلاً من أن يُتَمَّ الرقص. وفي تلك اللحظة — بينما هي تستروع الحياة — تقابلت عيناهما؛ فأيقنت أنه عرف كل شيء! إذن فلم يكن لها ذلك اليخت المنتظر في الميناء! ولم يكن لها ذلك الشاب المنتظر الذي يريد أن يتمتع بالحياة والحب! لم يصبح لها الرداء الذهبي أو عقد اللآلئ! هذه هي النهاية التي رأتها في عيني رامون التي كانت تحدّق فيهما؛ فاهت بأنين.

— رامون!

فقال لها بصوت يفيض عطفاً وحناناً: موتي، أي زهرة الإسبان اليانعة، لقد رددت الله تأوهت لما سمعت لهجتها التي لم تكن تعهدتها؛ بكت ثم بكت، وكان المنظر محزناً، فقد قتل رامون كل ما يحبه في الحياة، قالت: الوداع يا رامون؛ إنني أموت.

ثم سقطت على الأرض والدماء تتفجر من جرحها البالغ؛ فقام الحاضرون يصرخون ويصخبون، وقد صُبغ وجه الفراشة الراقصة بالدماء.
وهناك جلس فرنون سيلي في «لوحة»، وقد وضع وجهه بين يديه يبكي كالأطفال!

عن «جون ميتشل»

وجوم ...

«جينيس بلايت» فتاة شقراء جميلة، جمعت كل شروط الجمال، ولم يكن ينقصها شيء من مستلزماته، ومع ذلك كانت تعرف أنها ليست جميلة للحد الذي يلزم «رالف كنج» أن يمكث معها ولا يفارقها أبداً، ورالف أحد أصحاب الملايين في نيويورك، وقد تعرف بها حديثاً، فأعلن لها أنها أجمل فتاة رأها لآخر، ودعاهما لأن ترك مسكنها في نيويورك وترحل معه إلى الجنوب، وكم كانت الحياة جميلة في «فيلا فلاوريда» حيث سكناً! وقد طابت لها الحياة هناك وشعرت بالسعادة.

ثم لم يلبث بعد زمن قصير أن أخبرها بعبارة جافة مقتضبة أنه قد أودع لها في المصرف ما يكاد يكفيها من المال للرجوع إلى نيويورك، وقد فهمت من عبارته المختصرة أنه في حالة عصبية وغير مستريح البال. ثم رأته وهو داخل إلى الحديقة، وتبيّنت على جبهته المققطبة صورة لحالته الفكرية، وعرفت أنه رغمما قاله لها لا يزال منزعجاً، بل إن ازعاجه الحقيقي يفوق الظاهر على وجهه، ولما لم تكن جينيس ماهرة لتحتال عليه حتى تعرف سبب ازعاجه أو لتجعله لا يُفلت من يدها، بل وفوق ذلك كادت تفقد ثقتها في جمالها الجذاب، بدأت تتودد إليه ثانية: «لا تدعنا نفترق يا حبيبي، ربما كنت تعباً وتحتاج إلى تغيير الهواء. اذهب في رحلة قصيرة وأنا أنتظرك هنا، ولكن لا تطردني، لا تتركي يا حبيبي، إني أموت...!»

ثم ألقت بذراعيها حول رأسه ولامس خدها خده، أما فمه فقد طبع على فمه قبلة طويلة، ومال جسمها على جسمه! أما هو فقد تحول عنها بقسوة وابتعد عنها، وقال: «لقد انتهي شأني معك، ألا تفهمين كلامي؟ لم نتزوج من بعض، لم تكن بيننا تلك العبارة السخيفية: «لا فراق بيننا إلى الموت» لقد أخذت فرصتك بعد أن أتيت إلى هنا بمحض رغبتك.

جنيس! أولى بك أن تتركيني بسكون، وفي المصرف أجراً رجوعك إلى نيويورك وفوقها مائتا جنيه». وقد أصغت جنيس إلى حديثه ولهمة الاستهزاء التي كان يتحدث بها، وقد برزت أسنانها وضغطت على شفتتها من الغيظ، وتهورت هي أيضًا ثم قالت: «إنك لم تسام مني بعد! إنه شخص آخر قد ملك عليك حواسك، إنها امرأة أخرى». فهز كتفيه وقال: «لقد ذكرت الصدق، إنك مصيبة، هي امرأة أخرى».

فصاحت جنيس: «سأجذب هذه المرأة وأسأذرها، سأذكر لها أن فتنتك لا تدوم إلا ليلة واحدة، سأذرها أن لا تثبت آمالها ومشاريئها».

ابتسم رالف ابتسامة ألم وقال: «إنها لا تحتاج إلى رسالتك، إنها تعرف عني أكثر منك...! إذا لم يكن قد قدر لي أن أتشاجر معها، وإذا لم يكن حزيناً وقت أن رأيتكم للمرة الأولى فـإني أشك يا جنيس إذا كنت لاحظت شيئاً من جمالك».

وقد تأثرت جنيس من لهجة الهراء التي كان يتحدث بها، واشتعلت نيران الغضب في قلبها، وقد شعرت بالإهانة حينما عرفت أنها لم تكن إلا آلوبة لمدة قصيرة، وأنه لم يمكث معها إلا تسلية لنفسه ريثما يزول الغضب الذي كان يشعر به نحو المرأة التي يحبُّها حقيقة؛ فصاحت به وصوتها يرتجف: «ستدفع الثمن غالياً! سأعرف هذه المرأة، وسيكون لي شأن معها، سأتسبب في ضررها بأي طريق... سأفعل».

فرد رالف: «يجب أن تعرفي من هي أولاً، وعلى كل حال فلن يزعجها ما ستدركين لها، فهي تعلم أنني لست من الأنبياء». وقد دلَّها هُنْزُ كتفيه على مقدار ما يعلقه من الأهمية على تهديدها بالانتقام، وشعرت أنها قد ضاقت ذرعاً بغضبها هذا، وبدأت عاطفة الشر والجريمة تتحرَّك في داخلها، ولكنها سكتت مؤقتاً، وقد عرفت أنها قد غلت على أمرها، وأنها لا يمكنها أن ترد على لسانه الحاد، ذلك الذي كان حبيباً من وقت قصير، وحتى بعد أن هدأ غضبها الحاد، بقي الشعور بوجوب الانتقام، وشعور بوجوب الأذى، أذى لهذه المرأة التي أخذت منها رالف، والتي عرفت أنها تقف حائلاً بينهما».

وأخذ رالف قبعته من فوق المائدة ووضعها على رأسه، وكان مظهره واعتناؤه بملابس ووجهه الجميل دلائل على أنه كان أصغر من سنه الحقيقي. لقد كانت تشعر بالفخر في أوائل أيامها عندما كان في صحبتها.

وقبل أن يخرج من الغرفة التفت نحوها وقد انبسطت أسارير وجهه وابتسم، فقد خشي عاقبة غضبها، ولكنه عاد فقطَّ جبينه عندما رأى أنها تجاهمت يده التي مدها إليها ليصافحها، وقال بخشنونه: «إني آسف لأنَّه لا يمكنك أن تكوني مسامحة حتى نحو أصدقائك!» وخرج غاضباً بعد أن أغلق الباب بشدة.

سارت جنيس إلى الشباك، ووقفت بلا حراك تتبعه بنظراتها، ثم انفرجت شفتاها عن ابتسامة حزن وألم، لم تفكر في البكاء؛ فهي لم تدعُ يوماً ما أنها كانت تحبه، وقد ائتمرت حسب إرادته وأتت إلى الجنوب كما طلب منها، بعد أن حذرتها الفتيات الآخريات، وطلبن منها أن تبتعد عن رالف كنج؛ فكل مرتد لبرودواي يعرف الشيء الكثير عن تقبليه وخلقه، أما جنис فقد ضحكت منهن ومن حديثهن، واستولى عليها شعور أنها ستكون هي التي يمكنها أن تملك رالف إلى الأبد، ولكنها فشلت في محاولتها، وسقطت كالآخريات اللاتي لا عدد لهن، وألقي بها بعيداً كلعبة صغيرة رماها الطفل الذي كان يلعب بها بعد أن سئم منها، ولم تنجح إلا المرأة الأخرى، المرأة التي امتلكته من قبل، والتي سيرجع إليها الآن، هذه هي الفائزة رغم سقوط جنис والآخريات.

وكانت كل دقيقة تمضي الآن تزيد في كراهية جنис لتلك المرأة، وتناولتها رغبات مختلفة؛ أن تشد شعر هذه المرأة وتخدش وجهها وتشوه جمالها، وأن تؤذيها بكل وسائل الأذى.

نظرت جنис إلى المياه الزرقاء التي كانت تمتد أمام ناظرها، لم تكن ترغب أن تترك المكان، فقد كانت مستريحة فيه، شعرت بارتياح وهي ترى أغصان النخيل وهي تهتز والأزهار وهي متفتحة الأكمام، وترى جمال الطبيعة ممثلاً حولها، ولكنها الآن مضطربة أن تقفل راجعة إلى نيويورك بسبب هذه المرأة المجهولة المكرهة، وليس هناك إلا مبلغ صغير من المال موعده باسمها في المصرف، وفي نيويورك يجب أن تبحث عن عمل جديد قبل أن ينفد المال كله من يدها، وعندما بدأت الشمس في الغروب وصبغت البقعة بلون أحمر، لم تكن حرارتها لتوازي حرارة نيران الحقد التي كانت تلتهب في قلب الفتاة التي هزاً منها رالف كنج.

وتمشت ببطء في الغرف التي تكون منزلها المؤقت، الذي نعمت فيه بالحياة هنيهة من الزمن، وقد خالجها أسف وحزن وخوف لمبارحتها إياه؛ فهي تريد أن تمنع فيه إلى الأبد؛ ففيه ترى ضوء الشمس وتشعر بحرارتها وترى الأزهار، أما في نيويورك فماذا ترى سوى الجليد والجو المطر؟

وقد مكثت إلى منتصف الليل علىأمل أن يغير رالف رأيه، ولا لم يفعل أمرت وصيفتها أن تعد الحقائب وعزمت على أن تبرح المنزل في الصباح التالي.

وفي نيويورك لم تجد ترحيباً من أحد، وحدث ما كانت تخشي؛ إذ حلت فتاة أخرى محلها في المسرح الذي كانت تشغله فيه، ولم تكن مدیره رغبة في مساعدتها؛ لأنها كانت قد

تركته فجأة في أحراج الأوقات، فكانت تعاني فوق ذلك هزء الفتيات بها ونكاتهن عليها، وكلمات الشفقة والرثاء المسولة.

فابعدت عنهن، ولم تجدهن نفسها للحصول على عمل، وحتى لما نفد المال من يدها لم تشتعل، فقد كانت رغبتها في اكتشاف مقر المرأة التي سلبت منها رالف كنج تفوق بكثير رغبتها في الحصول على أي عمل، كانت تعرف عنوانه في نيويورك، ولكنها استبعدت هذا الخاطر من فكرها؛ فإنه رغم ما كان معروفاً عن سوء سلوك رالف، فقد كان له مركز ممتاز في البيئات الشريفة العالية المنزلة، وذلك بالنسبة لماله ولاسم أسرته القديمة، ولهذا استبعدت جنيس أن يأخذ أي امرأة — حتى تلك التي كان حبها يملأ عليه مشاعره — إلى منزله بنيويورك.

وفي يوم من الأيام قالت لها «فون برادي» — وهي فتاة كانت تعيش معها في غرفة واحدة اقتصادياً للنفقات: «يجب أن تعرفي أن رالف كنج الذي رحلت معه مرة شاب جسور، فلا بد أن تكون معه الآن امرأة جديدة، فمن مدة طويلة مضت كنت أرى فيها دائماً الستائر مسدلة على نوافذ المنزل، ولكن البارحة فقط لاحظت أن الستائر قد رفعت، وأن نافذة قد فتحت، واليوم وأنا مارة في الطريق رأيت امرأة — امرأة بارعة الجمال — تطل من الشباك ...»

هزت جنис كتفيها، وتظاهرت أن الأمر لا يهمها، وأنه سوء لديها، ولكن الحق أن نار الحقد بدأت تحرق بين ضلوعها، وقرّ قرارها النهائي على أن تذهب في اليوم التالي وترى هذه المرأة الفائزة، وتضربها وتهدها لتترك رالف إلى الأبد، والحق أنه كان شعور شُرّ ووحشية يقع ضرره على جنис نفسها.

غير أنه — بعد كل هذا — لم تتحقق خططها التي دبرتها، وكانت زيارتها لمنزل رالف كنج سبباً في التأثير عليها ووجومها عن الانتقام، وسبب ما رأته هناك جمود عاطفة الأثرة في نفسها وتلطيف حدتها.

حدث أن مدخل البيت كان مفتوحاً، وكان الخادم منهمكاً في عمله، تقدّمت جنис — وهي متحللة بملابسها الجديدة — وقرعت الجرس.

وفي هذه اللحظة شعرت بازدياد ضربات قلبها، وأخيراً لما فتح الباب دخلت كأنها سيدة آمرة، وسارت إلى منتصف القاعة.

وهناك وقفت وقد ارتمست على فمها آيات التعجب؛ فإن ما رأته لم يكن يخطر على بالها من قبل أن تراه، ولم تكن تتوقعه بالمرة؛ ففي الغرفة التي امتلأت بضوء الشمس،

وقفت امرأة أكبر سنًا منها بقليل وأكثر مهابة، رفعت المرأة بصرها، وكانت منهمكة في إصلاح رداء، ونظرت إلى جنيس.

لم تكن المرأة جميلة فتانية ترفل في ثياب حريرية كما كانت جنис تتصورها دائمًا، ولكنها كانت صبورة الوجه، بضّة الجسم، جذّابة الملامح، ترى الطيبة والشفقة مرسمة على وجهها.

ورفع طفل صغير ذهبي الشعر بصره عن الكتاب الذي كان مشغولاً بتقليل صفحاته، ونظر إلى جنис بعينين واسعتين متسائلين.
وانزعج طفل آخر أصغر منه من دخول الطارق المفاجئ الغريب؛ فأسرع إلى أمه يتحمي تحت ذراعها.

أما جنис فقد صعدت في موقفها؛ فقد تأثرت بمظاهر هذه السعادة الشاملة، والسكون المنزلي.

لم يحدث لجنис طول حياتها مثل هذا التأثير، مَرَّ بفكّرها أن هذه المرأة التي امتلكت قلب رالف كنج ونجحت عن الآخريات، هذه المرأة التي رجع إليها أخيراً وإلى الأبد – كما يظهر – لا بد وأن تكون زوجته!

وقد كانت تظن – عندما سارت مع كنج – أنه ليس إلا ذلك الشاب الخليع المستهتر المتنقل بين أحضان النساء، أما الآن فقد هدأ غضبها فجأة! ولم تعد تخطر في بالها الأفكار الحقيرة السابقة، وبينها خطط الانتقام. وشعرت بقلبه وقد تغيّر وامتلاً إخلاصاً ونوراً! وهذه المرأة – زوجه – لا بد أنها على بيّنة من أمر زوجها ورعونته وسقطاته، فإذا كانت تحبه وتريده – مع كل ما تعرفه عنه – فهي تستحقه إذن، ذلك ما حكمت به جنис. وكانت نظرتها الصغيرة هذه – نظرتها الصغيرة إلى الحياة العائلية، إلى نمط من الحياة لا تعرف عنه إلا القليل – سبباً في أن تصل عواطف المحبة إلى أعماق قلبها، حتى إن مقدار البغض الحاد الذي كانت تشعر به نحو كنج نفسه نَفْصَصَ؛ فإنه لم يخل من فضيلة واحدة، على الأقل هي التي جعلته يعود إلى زوجه.

لقد حضرت تحمل الكثير من كلمات السباب والغضب كي توجهها إلى المرأة التي كانت تنتظر أن تجدها في مسكن رالف، أما الآن فهي مرتبكة، تبحث في عقلها عن كلمات الاعتذار التي يجب أن تردّ بها على زوجه التي تسألها بصوت لطيف عما تطلب.

دمدمة معترضة بحدوث خطأ، ثم أسرعت وهي تتعثّر في مشيتها إلى باب القاعة ومرقت منه، وقد هدّأت من عواطفها الثائرة وهي تنزل السلم، ومع الحزن الذي كانت

تشعر به كان هناك في نفسها شعور آخر بالراحة والرضا؛ فقد ذهبت فكرة الانتقام — على الأقل — من بالها بعد أن كانت تقلق عليها منامها، فيمكنها الآن أن تصرف جدياً إلى البحث عن عمل. كانت واثقة من أنها ستتجده على أي حال؛ فمديريها القديم وتكتينز كان مستعداً أن يساعدها لو أنها تملّقه أو لطفته قليلاً، وهي الآن بعد أن بدت عاطفة الشر عن قلبها سيمكنها أن تناول عطه.

وإذا رجعنا إلى المنزل الذي كانت فيه جنيس من هنيهة لسماعنا أصغر الطفلين ينظر إلى أمه ويقول لها: «ألم يكن منظرها مضحكاً يا أماه؟ أظن أنها لم تكن تنتظر أن تجدنا هنا».

هزت المرأة الجميلة رأسها وقالت: من المؤكد لا يا عزيزي، وربما كانت إحدى صديقات المستر كنج، ويظهر أن الكثرين لم يسمعوا بعد أنه أجر لنا سكنه هذا إبان غيابه في رحلته في البحر الأبيض!

عن «ماري سيرز»

لويز

رأيت لويز لأول مرة في إحدى قرى «أريزونا» على حدود المكسيك، وكانت فتاة طولية القامة ممتنعة الجسم، سمراء اللون، جميلة الوجه. كانت لويز محظوظة أنظار زائري مسرح «جو» المسمى بالتمثال الذهبي، ومع وجود لويز في ذلك الوسط إلا أنها احتفظت بعفتها وطهارتها.

كانت لويز قصة، وقد عرفت ذلك من أول مرة رأيتها؛ فقد كان ظاهراً عليها أنها ليست من الوسط الذي يؤمُّ مسرح التمثال الذهبي. وبالطبع لكل إنسان قصة، غير أنه كان يخيّل لي دائماً أن قصة لويز قصة عميقة. وكنت كلما رأيتها مرة بعد مرة أزدادت شوقاً لاستماع قصتها، وأخيراً تمكّنت من ذلك في ليلة كانت إلى جانبني بالمسرح، وقد شربت هي فيها أكثر من اللازم.

ويمكنك أن تقول إنه القضاء والقدر هو الذي ساق لويز إلى مسرح التمثال الذهبي، فقد وجدت نفسها في ولاية أريزونا المعدنية، وليس هناك من وسيلة للتعيش إلا الاستغلال في المناجم. ولما كانت مضطربة أن تسعي وراء رزقها، دخلت في مسرح التمثال الذهبي حيث قدم لها «جو» مركزاً لائقاً، وكانت لا تشرب مطلقاً، وترفض كل دعوة، حتى إن جو نفسه اضطر أن يحترمها، ولكنه كان مغناطساً منها؛ إذ لم يكن متعدداً من الفتيات الآخريات هذه المعاملة الشاذة وهذا التمنُّ، وكان يكره هذه السخافات على حد قوله! والحقيقة أنه ما كان يجرأ أن يدع لويز تفلت من بين يديه؛ إذ إنها كانت عماد مسرح التمثال الذهبي. ولولا ذلك السبب لطردتها من زمان بعيد. تعاقبت الأيام على هذه الحالة، وكانت لويز تجذب في العمل حتى تحافظ بمركزها على المسرح، وقد بدأت تقتصر من مرتبتها على أمل أن ترحل بعد مدة قصيرة إلى قرية أخرى أكبر من هذه تبحث فيها عن عمل أشرف من عملها وتترك مسرح التمثال يهوي إلى الحضيض ويفقد شهرته.

ولكن حدث أن وصلت القرية بعثة من الشبان المهندسين للبحث عن مكان صالح لحفر منجم. وقد كانوا موظفين لهذا الغرض من قبل إحدى الشركات، وكان العمل بسيطاً في حد ذاته، ولم يكن في المدينة من وسائل اللهو والتسلية وقضاء أوقات الفراغ غير مسرح التمثال الذهبي. فكانوا يؤمنون يومياً، وقد كثُر ترددهم عليه حين رأوا لويس، وكان بينهم مهندس اسمه روبي يصحبه صديقه له اسمه جيمي، لم يتراكما لويس لحظة واحدة من أول ليلة وقع نظرهما عليها، فكانا يذهبان للمسرح كل ليلة، ولم يمض وقت طويلاً حتى عرف جيمي بالعلاقات التي نشأت بين لويس وصديقه روبي؛ ففتحي عن طريقهما، ولم يشأ أن يزاحم صديقه في غرامه، وبذلك تصرّف الصديق المخلص ... وازدادت العلاقات ارتباطاً بين روبي ولويس ... ولكن أخيراً كم كان حزنهما شديداً حين أتى وقت الفراق؛ فقد كان على روبي أن يرجع إلى المدينة ليقدم تقريره عما رآه، ولكنه وعدها أن سيرجع للقرية ثانية لكي يأخذها معه إلى المدينة ليتزوجها، وقد سرت لويس بهذا الوعد وواثقت من صدقه؛ إذ إنها كانت على يقين من حب روبي لها.

هجرت لويس «جو» ومسرح التمثال الذهبي، وذهبت عند سيدة كبيرة السن رقيقة القلب، هي المس فلين، وسكنت عندها، وكانت تصرف من نقودها التي اقتضتها، وكانت تُمضي وقتها في الخياطة؛ إذ إنها رأت أنه يجب أن تخيط لنفسها ثوباً لا تخجل من أن يرها روبي به، وقد أتمته أخيراً رغم أنه كلفها كثيراً من المال.

وكان المال ينفد من يدها شيئاً فشيئاً، وليس من دخل يأتيها. ومع أن الأمر كان جدياً لا معنى للهزل فيه، فمن قريب ينتهي المال، إلا أنها كانت سعيدة جداً سعادة الأمل! وكانت في بعض الأحيان تخرج من حقيبتها لباس الرقص القديم، وإذا تتألمه تضحك ضحك الاستهزاء، وهي تنظر إلى المستقبل بعين مطمئنة، وقد عزمت أن تحفظ بهذا اللباس، ليس لقيمة بل لأنه كان واسطة تعرفها بروبي، كانت خطاباته تصلها بانتظام. وحدث أن انقطعت مرة واحدة في يوم من الأيام، وقد تعجبت هي من ذلك، غير أنها ظنت أنه في طريقه إليها وأنه سوف يفاجئها بحضوره، وقد أملت أن يكون تعليها هذا هو الحقيقة، فقد كانت تحبه بملء جوارحها، وقد طالت مدة فراقه عنها. ولأن المال كان قد قارب النفاد كانت تقاسي آلاماً كثيرة؛ فقد استعطفت مس فلين أن تنتظر قليلاً على أجرة الغرفة. وكانت مس فلين طيبة القلب فرضيت أن تنتظر، إلا أن لويس كانت تعلم حقاً العلم أن هذه السيدة في حاجة ماسة للدريريات القليلة التي تأتيها من إيجار الغرفة. واحتارت لويس: أي طريق تسلك؟ وماذا تصنع؟ وزد على ذلك أنه لم تصلها أي

كلمة تشجيع من روبي، ولم يرد على كل رسائلها الأخيرة، وقد خافت أن يكون مريضاً أو أصابه ضر ...

وحدث في يوم وهي راجعة من البوستة أن رأت جيمي، جيمي صديق روبي! فما دام جيمي بالمدينة إذن فروبي بها أيضاً! وها هو قد فاجأها بحضوره كما ظنت أولاً، ويجب أن يكون الآن في طريقه إلى غرفتها، وقد كادت تلقي بنفسها بين ذراعي جيمي من سورها، وصاحت صيحة فرح، وأخيراً سكتت وأظلمت الدنيا في عينيها، وشعرت أنها ستسقط على الأرض، عندما أخبرها جيمي: «أن روبي ليس في المدينة، وأنه لا ينوي الحضور بتاتاً؛ فقد تزوج من فتاة في بلده». وإذا خرجت هذه الكلمات من فم جيمي ظنت أنه أخرجها مرغماً على أمره، ولكنها تأكدت منه أخيراً أنها الحقيقة؛ فرجعت إلى غرفتها التي حوت كل آمالها المستقبلة وكل آلامها الماضية، الغرفة التي قضت فيها ساعات جوع طويلة محتملة ذلك في سبيل روبي وحده، لكي تجعل نفسها مستحقة أن تكون له.

أخرجت لباس الرقص مرة أخرى من حقيبتها، ونظرت إليه، ثم ضحكت وضحك، وكان ضحك اليأس في هذه المرة.

وبعد دقائق كانت ومعها حقيبتها أمام مسرح القتال الذهبي ...

ولما أخبرتني ذلك في حديثها خيل إلىّ أنني أراها في ذلك الوقت أمام باب المسرح بوجهها الجميل وعليه ملامح الاضطراب، ثم خيل إلىّ أنني أرى جو والذين كانوا جالسين في المسرح وقد ذكروا ما حدث؛ فارتسمت على ثغورهم أمارات الدهشة والاستغراب.

كان المجمع القديم هو بعينه في المسرح في ذلك اليوم، وكان هناك جماعة الشبان المهندسين أنفسهم، واحداً واحداً، وبينهم جيمي، كان كل إنسان وكل شيء موجوداً في موضعه، إلا روبي، روبي فقط كان ناقصاً، روبي الذي تزوج بعيداً عنها هناك.

شربت لويز لأول مرة في تلك الليلة، وشربت كثيراً أيضاً، ولكنها لم تشرب منفردة؛ فقد شرب معها جيمي أيضاً، وأخيراً إذ ثمل الاثنان قال جيمي: «هيا بنا ...»

وهنا استراحة لويز قليلاً وهي تقصر علىّ قصتها، وشربت ما بقي في كأسها من الخمر، ثم نظرت إلىّ وقالت بضحكة قصيرة: «فقلت له: هيا بنا ...»

عن «م. تشيمبرز»

هل هي آئمة؟

جلس الفتى في الحانة يتناول أقداح الخمر، وكان يسرف في الشرب، وعليه ملامح التفكير العميق، كان يتناول الكأس ثم يضع رأسه بين كفيه وهو عابس الوجه، يصدق في الفضاء، لا يلتفت للذين حوله، وقد ارتسمت على وجهه صورة من صور الألم والحزن.

فإذا أصغيت إلى تلك الكلمات التي كان يتحدث بها إلى نفسه سمعته يقول: «زوجي! زوجي! تخونني! يا للمصاب؛ الزوج التي كنت أعتقد أنها ملاك هبط من السماء، الزوج التي عبدها عبادة، وأحببتها أكثر من نفسي ... «آه» يا لها من خائنة! إذن فلم تكن نظراتها إلا نظرات غدر ... ولم تكن ابتسامتها لي إلا ابتسامات الخديعة والمكر، ثم لا تخجل تلك الشفقة فتححدث بخيانتها.»
ثم يستمر في احتساء أقداح الخمر ... حتى ثمل أو كاد ...

لهذا الفتى قصة، قصة فيها شيء من الغرابة، فهذه الخمر التي رأيناها يحتسيها في الحانة، لم يكن قد ذاقها منذ عام، كان قد هجر الحانات والمشارب منذ زواجه. كان عاملاً صغيراً، يعيش منفرداً، ولقد تصادف أن رأها، تلك التي اختارها زوجاً فيما بعد فأحبها. أما هي فكانت لا تبادره هذا الحب، بل كانت تكرهه، ولم تكن لتریده زوجاً لها، ولكنه انتهز فرصة وقوع أهلها في ضائقه مالية فطلب يدها، فلم يمانعوا، وجمعوهما الأقدار. كان يحبها حباً شديداً فأخلص لها، ومن يوم زواجه بها هجر الحانات وترك أصدقاء وصديقات السوء، وابتسم له القدر، فحسُن مرکزه، وصار ذا ثروة تُذكر. أما هي فرغم أنها أكرهت على هذا الزواج ولم تكن راغبة فيه، إلا أنه لم يمض زمن طويل حتى راقت لها الحياة الزوجية؛ فأحببت زوجها، غير أنه كانت هناك نقطة سوداء في حياتها، فقد كان لها خليل قبل زواجهما، كان له معها شأن يذكر! أما ذلك الخليل فقد كان

من المستهترين الذين لا يهمهم إلا إرواء غليل شهواتهم. أخلصت لحلياتها من يوم زواجهما، غير أن الاعتراف بالجريمة كان عبئاً ثقيلاً لا قبل لها بحمله، فكم نغض علىها سعادتها وحياتها، كانت تنظر إلى زوجها فترثي له، وترى أنها غير مستحقة لعطفه وحبه.

كانت تشعر كأنها آثمة خائنة، وأنه محال أن تکفر عن جرمها هذا بغير الاعتراف لزوجها، وبعد ذلك قد لا تشوب سعادتها شائبة، فتعيش مطمئنة في أمن من وحز ضميرها.

وأخيراً أخرىاً، اجترأت أن تفاحت زوجها، وبدأت تستعطفه، وكأنها كانت تظن أن زوجها سيفتح لها ذراعيه فيضمها إلى صدره ويقول لها: «قد نسيت الماضي».

إلا أن شيئاً من ذلك لم يكن؛ فقد ثار الرجل عندما سمع أول حديثها، ثم هدّها بالقتل، ثم أخذ يصبح كالمعتوه، وبدأ يلعنها ويلعن ساعة رآها وساعة تزوجها.

لقد دخل في رُوع الرجل أن زوجه لا تزال تخونه، وأن ذلك الجنين الذي في بطنه ليس ابنه، رأى آماله تنثار، ورأى أنه فقد كل شيء؛ فقد زوجه، فلم يحيا بعد ذلك وليس له أحد في حياته؟ أما ذلك الجنين الذي لم يَرْ نور الحياة بعد فهو ليس ابنه، ولি�تكفل به والده.

أما الزوج فلم تتمكن من مفاتحته ثانية أو إقناعه بخطئه. ولا هداً شعر بحزن شديد ورأى أن يهجر المنزل؛ فهو يذكره بشبح الخيانة، فترك المنزل وفيه زوجه تبكي وتندب حظها العاثر.

هل أخطأ باعترافها؟

أما هو فإلى الحانة، فماذا يحول الآن بينه وبينها؟ لا شيء.

وهو جالس في الحانة كما رأيناها يحتسي الخمر تباغعاً.

هذه هي قصته، أما ما حدث له بعد ذلك فقد ترك الحانة في ساعة متأخرة من الليل، بعد أن ثمل بنشوة الخمر، ولم تكن هيئته لتتبئ بالخير، وظل يتتجول في الشوارع إلى الصباح، فعثر به رجال البوليس وأرسل إلى المخفر كاللص، ولما بدعوا في استجوابه تبيّن لهم أنه معتوه، وأنه فاقد لرشده؛ فقرروا إرساله إلى المستشفى.

عن «الفرنسية»

هدية الزواج

«روز هريلك» فتاة حسناء كانت في اليوم السابق ليوم زواجها تحدث صديقتها «جريس»، ونحن نفهم من الحديث أنه يدور حول زواج روز، وروز تقول لصديقتها: إنه شاب لطيف، ومن حقي أن أفارخ به، ولكنك أنت الوحيدة – يا جريس – التي تعلم شقائي. فردت جريس قائلة: إني أرى أن تعدي عن هذا الزواج، مع أنني على ثقة تامة أنه يحزن جداً إذا علم أنك لا تحبينه.

– ولكن كيف أعدل الآن بعد أن تصادقنا ستة أشهر؛ أي منذ يوم خطوبتنا، ويومذاك كنت أظن أنني سأكون سعيدة جداً مع أنه أكبر مني سنًا، ولكن لم يكن يدور بخلدي أنني سأقابل آرثر تنسون وأقع في شراك غرامه، ومما يزيد في ملي وحزني أن جون – خطيبي – هو الذي قدمني إلى آرثر وعرفني به كأحد أصدقائه، فهل يمكنني أن أعدل الآن عن الزواج بعد كل هذا؟ إن ضميري لا يطاوعني، فلا ريب أن جون يموت كمداً لو حصل هذا.

ففاجأتها جريس: أنا لا أهتم لما يحدث له هو، ولكن يهمني أنت؛ فهي سعادتك، بل هي حياتك.

فقالت روز: وهي سعادته وحياته هو أيضاً؛ فقد جد واشتغل سنوات عديدة حتى حصل على ثروة لا بأس بها، ومع ذلك فقد أخبرني أنني أنا ... غاية آماله، هو طيب القلب يا جريس، وسألتني دائئراً أن أجعله سعيداً.

وتساءلت جريس: وما أخبار آرثر؟

فأجابتها روز: إن آرثر صغير السن وسيئي، بل إنني أجسر أن أقول إنني سأنسى أنا أيضاً، بل لقد كنت أود لو لم أعرفه. إنني عندما رأيته للمرة الأولى عرفت أنني أخطأت صنعاً، بل وأنني تصرفت تصرفاً معييناً، ولكنني كنت مضططرة أن أتابع السير في هذا الطريق؛ فقلبي

هو الذي كان يدفعني، بل إنني استيقظت في الصباح التالي لليوم الذي عرفت فيه آرثر، فعجبت لِمَ كنت سعيدة! ولما ساءلت نفسي عرفت أن الجواب لأن آرثر كان موجوداً في هذا العالم. ولكن سحابة كثيفة كانت تحجب عنِي هذه السعادة، وهي جون، جون خطيبِي الذي يجب أن أتزوجه.

بكت روز بعد أن أتمت عبارتها الأخيرة؛ فأخذت جريس تهدئ روعها. وفي منزل آخر من المدينة كان آرثر تنسون يحدث صديقه جون – خطيب روز – عن معدات حفلة الزواج. قال جون لآرثر في معرض الحديث: ترانى يا آرثر لا أصدق لأن روز تحبني حقيقة، فلو كنت أنت مثلًا.

فقطاعه صديقه آرثر: أنا؟ ما هذا الهرز والسخف يا جون؟ إنك الرجل الذي يمكنه أن يقوم بواجبات الزوج حقيقة، والمرأة تعرف هذا الرجل بالفطرة. فقال جون: كم أتمنى أن أعتقد حقيقة ما تقول؛ فإنني أحبها، وأنا مستعد أن أهب حياتي إذا كانت هذه التضحية تجعلها أسعد مما هي.

لم يستطع تنسون – حبيب روز وصديق خطيبها – أن يضبط عواطفه إلا بمنتهى الصعوبة؛ فتمنت قائلًا بصوت ضعيف: إنها خلقت لتصير زوجًا لك، وأنت تستحق كل السعادة المقبلة يا جون.

ثم استأندَنَ من صديقه وخرج بعد أن وعد أن يزوره في صباح اليوم التالي، يوم الزواج ...

لم ينم تنسون تلك الليلة، وأخذ يفكر وهو في فراشه في المأساة التي سيشهدها في الغد، وذكر الماضي أيضًا، وشعر بنداء الحب، ولكن لم يخطر له أبدًا أن يخون صديقه، ورأى أن يرضخ لحكم الأقدار، ذكر اليوم الذي عرفها فيه، وذكر كيف أنه حاول أن ينزع ذكرها من قلبه فابتعد عنها مدة، ثم ما لبث أن وجد نفسه مساقاً إليها مرة أخرى، ثم تمثل لناظره شخص جون، صديقه المخلص، وعرف أن سعادة ذلك الصديق في يده.

فخجل من نفسه، وأخيرًا تساءل وهو يتقلب في فراشه: هل يستطيع أن يشهد حفلة الغد بدون أن تخونه عواطفه؟ ولكنه ناشد نفسه: يجب أن أكون رجلاً.

وفي الصباح خرج إلى منزل صديقه، ولم يكن على وجهه الجميل ما يدل على ما كان يعانيه من الآلام، ولما وصل وجذ صديقه جون في انتظاره وعلى وجهه أمارات البشر والانشراح، ولكنه لاحظ أنه يُخفي شيئاً في طيات نفسه.

قال جون: لقد أصابني التعب؛ فأنا منذ ساعة متأخرة أحrr الخطابات وأرسل في طلبأشخاص حتى أديت أكثر المهام، ولكن لا يزال أمامي واجب واحد وسأكفك أنت بأدائه، سأفاجئ روز مفاجأة حسنة، فأنا أريد أن أقدم لها هدية الزواج.

فقال آرثر: إذن فأسرع بالذهاب إليها.

فقال جون: «لا، فأنا أريد أن توصلها أنت إليها حتى نفاجئها كما أخبرتك». «أسرع إليها قبل أن تبدأ في لبس ملابسها فلا يمكنك أن تراها، أما أنا فلا أريد أن أراها إلا في الكنيسة، أسرع يا آرثر إرضاءً لي».

تردد آرثر في الذهاب، فهل يمكن أن يقابل من يحبها مع العلم أنها ستكون زوج رجل آخر بعد ساعات؟

وما زال جون يلح عليه حتى رضي أخيراً إرضاءً لصديقه وإخفاءً لضعفه: أخرج جون من جيبيه خطاباً مغلفاً وسلمه لآرثر قائلاً: أؤكد لك أن روز ستريك هديتي بعد أن تراها هي.

وضع آرثر الخطاب في جيبيه وقال لصديقه قبل أن يبارحه: سأرجع بعد وقت قصير يمكنك أن تلبس ملابسك في أثناءه، وصل آرثر، وإذا كانت يده قد ارتجفت وهو يقدم الخطاب لروز فإن يد هذه قد ارتجفت أيضاً ارجافاً ظاهراً وبهت؛ إذ وجدت أمامها حبيبها، فتحت الخطاب بهفة ظاهرة، وبدأت تقرأ، وما كادت تأتي على آخره حتى كانت أمائر الدهشة والتأثير العميق ظاهرة أجي ظهور على وجهها. ثم رفعت وجهها ونظرت في وجه آرثر، فوجدت أنه لا يعلم شيئاً مما حدث؛ فقدمت إليه الخطاب بيد مرتجفة، فقرأه:

عزيزي

أنا أعلم أنك تحبين آرثر، وأعلم أنه يبادرك الحب، فلتتزوجا إذن ولتعيشا سعيدين. أما أنا فسأرحل بعيداً قبل أن يرجع من عندك. إن الأمر يبدو غريباً، ولكنه لا يهم طالما أن آرثر هو الذي سيحل محلي في مركز الزوج.

المخلص: جون دومن

جمد آرثر في مكانه وجالت الدموع في مآقيه، وأخيراً تقدمت روز إليه ففتح لها ذراعيه: آرثر! آرثر! حبيبي.

قصص عن جماعة من مشاهير كتاب الغرب

قال آرثر: لم أَرْ بعْدُ صديقاً أَخلص لصديق مثل ما أَخلص جون لي؛ فرددت روز:
إن الله قادر أن يكافئه، ويبارك في تضحيته هذه.

عن «الإنجليزية»

زازا

زازا ممثلة بارعة في مسرح الأوديون، الجمهور معجب بها، فهي تتقن فنها، ولكن إلى جانب ذلك هي عصبية المزاج، فإذا ما ثار ثائرها تراها وهي تضرب كل من حولها لا تستثنى أحداً، ثم تندم بعد برهة فتبكي، ولا يمكن لأحد أن يتقدم إليها، ولا تهدأ إلا إذا وجدت نفسها بين ذراعي حبيبها ديفرين.

ديفرین هذا رجل في مقتبل العمر، على شيء من الغنى، يشغل مركزاً علمياً، له زوجته الشرعية، ومع ذلك وقع في غرام زازا، وهو يبادلها حبها العظيم. عرضت وزارة الخارجية الفرنسية منصبًا كبيراً على ديفرين في واشنطن، ولكنه يتردد في السفر، فهو لا يقوى على مفارقة حبيبته زازا، وزوجه تشجعه على قبول المنصب، ولكنه لا يزال يتردد. أما حبيبته زازا فهي تعرض عليه أن تسافر معه إلى أمريكا مضحية بمركزها وشهرتها في سبيل غرامها.

ويخاف «ريجول» مدير مسرح الأوديون أن تهجر زازا المسرح؛ فهي أساسه، فإن هجرته قضي عليه القضاء المبرم، وهو لذلك يرى أن يفصل بين ديفرين وزازا؛ ففي هذا الانفصال استبقاء لزازا في مسرحه.

ويعرف ريجول أن ديفرين له زوجته الشرعية، ويجد أن هذا هو السلاح الماضي، الذي يجب أن يستعمله؛ ليفصل زازا عن ديفرين، وتثور زازا إذ يقصُّ عليها مديرها ريجول خبر وجود امرأة خاصة في منزل ديفرين، بل هي تكتبه وتطرده، وتصمم أن تنتقل في الحال إلى باريز حيث يقطن ديفرين؛ كي تتأكد من كذب الخبر.

وإذا ما وصلت إلى منزل ديفرين دخلته كامرأة حاكمة لا زائرة، ومع أن الخادمة أخبرتها أن المسيو ديفرين غير موجود في المنزل في تلك الساعة إلا أنها تدخل المنزل وتسرير من غرفة إلى غرفة كما تسير في منزلها، وتصل إلى غرفة فتسمع فيها صوت «البيانو»،

وتعرف من نغماته أن العازف يعزف أنشودة «لذة الحب»، وهي الأنشودة التي لا يحب ديفريين أنشودة غيرها، وكثير ما عزفتها له في خلواتهما، فهي تعجب! وتدخل الغرفة فتجد أن العازف فتاة صغيرة لا تتجاوز الثامنة من عمرها، فهي تسألهما: من هي؟ والفتاة تجيب أنها «لوسيل»، وإن تسألهما اسم أبيها تجيب الفتاة أنه «فرانس ديفريين»! وتکاد زازا تصعق؛ فهي لم تكن تصدق أبداً أن حبيبها يخدعها أو أن له زوجة وابنته، وتخرج هاربة من منزله، وتقابل في طريقها الزوجة، ولكنها لا تجسر أن تحدثها، فلقد تحطم كبراؤها مرة واحدة.

رجعت زازا إلى منزلها وهي في حالة حزن عظيم، وتجد أمامها صورة ديفريين حبيبها؛ فلا تملك إلا أن تقطع الصورة إرباً، ويجيء الدوق دي برساك، وهو رجل مسن يتودد إليها دائمًا ويطرح عند قدميها ثروته الطائلة، نظير قبوله زوجاً لها، ولكنها كانت تكرهه وتكرهه ماله، فما كان يقابل منها بغير الرفض.

أما الآن فهي تقبّله زوجاً بعد أن هجرت ديفريين! والرجل يكاد يجنُّ فرحاً، وبعد برهة تخرج زازا لحضور مأدبة يقيمها لها الدوق في تلك الليلة ابتهاجاً بخطبتهما. يحضر ديفريين لزيارة زازا، وهو لا يعلم شيئاً مما حدث، ويدخل غرفتها توًّا فلا يجدها فيها، ولا يجد إلا صورة ممزقة إرباً وملقاة على الأرض؛ فإذا أمسك ببعض قطعها المتناثرة علم أنها صورته هو، وتخبره الخادمة أن زازا قد قرر قرارها على الزواج بالدوق دي برساك!

وإذ يعلم ديفريين الحقيقة ويرى أن حبيبته قد هجرته، وأن غرامه قد تحطم، يقرر أن يقبل المنصب الذي عرض عليه بأمريكا، ويعزم على السفر بعد يومين مصطحبًا زوجه وابنته.

وفي الحفلة الساحرة التي قامها الدوق تكريماً لزوجه المستقبلة زازا، نجد الكل في سرور وانشراح والدوق مسرور جدًا. أما زازا فهي الوحيدة في الحفلة التي تشعر بالحزن؛ فهي لا تزال تحب ديفريين ... وإلى جانب ذلك هي تتبغض الدوق دي برساك، وإن يشرب الحاضرون نخب زازا ويسمونها: «دوقة دي برساك المقلبة» تقوم هي وتصبح بهم أن:

«بل اشربوا نخب زازا الماضية التي كانت تؤمن بالحب...»
... وفجأة تثور زازا وتبكي؛ فالحب لا يزال ملتهباً في نفسها؛ فهي تحب ديفريين حقاً، وهي تعدل عن الزواج بالدوق وتصارحه بذلك وتخرج غاضبة، ثم لا تلبث أن تقرر

أن تعود إلى المسرح لتجد فيه العزاء عن حبها، والسلوان عن غرامها، وهكذا يتحقق أمل «ريجول» — مدير مسرح الأوديون — ولا تنفصل زازا عن مسرحه ...

ولكن الحب لم يخدم في قلب زازا ولا في قلب ديفرين؛ فبعد سبع سنوات رجع ديفرين من أمريكا بعد أن ماتت زوجته هناك، وتذهب زازا لزيارتة وتدخل المنزل، وتسير من غرفة إلى غرفة كما تسير في منزلها، وتصل إلى غرفة فتسمع فيها صوت «البيانو»، وتعرف من نغماته أن العازف يعزف أنشودة «لذة الحب»، وهي الأنشودة التي لا يحب ديفرين أنشودة غيرها وكثير ما عزفتها له في خلواتهما، فهي تعجب وتدخل الغرفة فتجد أن العازف فتاة جميلة تبلغ السادسة عشرة من عمرها، فهي تسألهما: من هي؟ والفتاة تجيب مرة واحدة: «اسمي لوسيل، وإذا سألتني عن والدي فهو فرانس ديفرين، ولكن بريك لا تسأليني عن أمي؛ فقد ماتت، ماتت في أمريكا.»

والفتاة تطلب من زازا أن تعزف لها أنشودة «لذة الحب»، وتُجيب زازا طلبها، وتخرج الفتاة متلصصة؛ فتنادي والدها ليرى هذه الزائرة الغريبة.

وهناك إذ تتقابل العيون تتحقق القلوب، وتبدأ نار الحب التي كانت على وشك الخمود في الاتقاد ثانية، ويكون ثمّ عناق طويل.

عن «شريط السينما»

غرام زائف

نزلت الفتاة من عربة الترام، ودخلت إلى مشرب القهوة؛ فاتجهت إليها الأنظار، وتهامس الحضور عن جمالها وظرفها، وتساءلوا: من تكون؟ سارت الفتاة دون أن تلتفت إلى أحد، ودخلت إلى غرفة خاصة داخل المشرب، وجلست وحيدة تنتظر، ثم شعرت بالملل فأمسكت جريدة وبدأت تقرأ، وكانت من حين لآخر تنظر إلى الساعة، ولم تلبث قليلاً حتى دخل الشاب الذي كانت تنتظره؛ فسُرّت لمرأه وابتسمت، أما هو فقد تكلّف إظهار البشاشة رغم أنه كان مصفرَ الوجه، شاحبه، كأنْ به مرضًا، وما هو إلا مرض الحب!

كان الفتى يحب الفتاة حبًّا عظيماً ملأ عليه نفسه وقلبه، فلم يكن له شاغل بعد عمله سوى هذا الحب.

كان يحبها ولكن كان يمنعه من طلب يدها للزواج فقره، وقد طلب منها أن تنتظر حتى يجمع ثروة صغيرة يتوصّل بها إليها، وقد جد لها هذا الغرض وواصل الليل بالنهار ...

كان الفتى يتحين الفرصة لمقابلتها. أما هي فلم تكن تحبه ولم تكرهه أيضاً، بل كانت تشعر بالعاطف عليه عندما يذرف الدمع السخين أمامها، ليعبّر لها عن حبه وألمه، ولذا لم تكن لتعنّه عن مقابلتها، بل كانت تجد في ذلك تسليّة لها هي أيضاً، فهي فتاة تحب - كغيرها - العبث واللهو بقلب الرجل، ولا تحب إلا الملابس والقبعات الحديثة الأزياء، ولا يهمها من حياتها إلا ملبسها وزينتها.

قلنا إنه دخل الغرفة فارتاعت لرؤيتها؛ فقد كان شاحباً أصفر الوجه، دخل فارتمى على يديها يقبلهما، وبكي بكاءً مُرّاً؛ فسألته بلطف عما به؛ فأخبرها أنه أمر في محل عمله

بالسفر بعد يومين إلى اليابان لمدة ستة أشهر، وهو مضطرب إلى إطاعة هذا الأمر، ولكنه لا يقوى على فراقها يوماً واحداً.

فهدأت الفتاة من روعه، وشجعته على احتمال هذا الأمر.

وفيما هما كذلك دخل الغرفة عاشقان آخران انتحيا ركناً من الغرفة، وأخذت الفتاة تطيل النظر إلى المرأة الأخرى، وكانت، فنظر إليها بدقة عظيمة واهتمام زائد من أعلى رأسها إلى أخصص قدميها، كانت تتمعن في كل جزء من جسمها وملابسها.

وقد فطن الشاب إلى أنها تخاف هذين العاشقين، فقال لها: لا تخافي، فهما مثلكاً. وكان الفتاة لم تسمع هذه الجملة فاستمرت في التحديق في المرأة الأخرى، ولكنها التفت أخيراً إلى عاشقها، فقال لها بلهجة التذلل: أود أن أطلب منك أمراً، فهل لك أن تجيبيني إليه؟

- اطلب وسأترى.

- هل لك أن تصحيبني في السفر؟

فضحكت الفتاة ضحكة قصيرة وقالت بدهشة: هل جننت يا عزيزي؟ وماذا يقول والدي؟ إنك تريدين أن تغيّر مجرى السعادة التي نتربّها من مدة طويلة، سافر أنت، وسأنتظر رجوعك.

ففكر الشاب قليلاً، ورأى استحالة إجابته إلى ما طلب، فقال: إذن هل لك أن تقابليني الساعة الخامسة بعد غد على المحطة؟

- ولكنني لن أخرج في ذلك اليوم من البيت؛ فستزورنا عمتي.

- أرجوك، أتوسل إليك! قابليني على المحطة؛ حتى أراك قبل سفرني.

- لا تكثر من الإلحاح يا عزيزي؛ فإنك تسبّب لي آلاماً، لا يمكنني الخروج في ذلك اليوم.

فحزن الفتى حزناً شديداً، والتفت إليها فرأها تنظر للمرأة الأخرى فتعجب، ولكنها التفت إليه وابتسمت له، ثم داعبته بكلمة وقالت: إذا أردت أن تقابلني فيمكنك الحصول على لمنزلنا غداً؛ فهو يوم مقابلاتي.

وعندما انتهت من تلك الجملة حولت نظرها للمرأة الأخرى التي كانت عند الباب، وقد كانت تخرج مع عشييقها؛ فألقت عليها نظرةأخيرة ثم التفت لعشيقها الذي قال لها: إن المدير يطلبني في هذه الساعة، فأستميحك عذرًا أن تسمحي لي بالذهاب.

ولما نهضت الفتاة لتوديع عشييقها قال لها: هل تقابليني بعد غد؟ عند المحطة.

فقالت له: قلت لك إنه لا يمكنني، و تستطيع الحضور عندنا غداً.
ـ ولكنني لا أحب الضجة، وأحب أن أكون وحيداً معك، وعلى كل حال ربما حضرت.
سار الفتى في الطريق، وأخرج منديله يمسح به الدموع المتساقطة، فهو يتالم في
غرامه هذا.

وبعد خروج الفتى طلبت الفتاة دواه وقلما، وأخذت تحرر خطاباً، ولكنها عادت
فطلبت ورقة أخرى وأعادت كتابة الخطاب، ثم وضعته في الظرف وأخذته معها وقامت.
وقد أغلقت الورقة الأولى التي كتبتها، ثم خرجت إلى حال سبيلها.

لم يستطع العاشر المسكين مفارقة محبوبته على تلك الصورة؛ فقرر الرجوع إلى
مشرب القهوة ليتمكن منها هنيئة أخرى، ويمكنه أن يعتذر للمدير عن تأخره في الذهاب
إليه. رجع مسرعاً ودخل الغرفة، ولكنه لم يجد أحداً، ووجد في المحل الذي كان جالساً فيه
مع الفتاة خطاباً: فتأكد أنه - ولا ريب - خطاب قد تركته له.
أمسك بالخطاب وقرأ:

إلى رئيسة قسم تفصيل الملابس والقبعات ب محلات اللوفر عزيزيتي مدام جيني

رأيت اليوم «فستانًا» جميلاً جدًا أعجبني جد العجب، فرجائي أن تتعدي من
«فستاناني» قليلاً حتى يكون مماثلاً لذلك الذي رأيته. اجعلني الفتحة الأمامية
ضيقة من ناحية الكتفين، وضععي شريطاً أحمرًا بالعرض بالقرب من الوسط.
أما القبعة فأرجو أن تأمرني بوضع ريشة طويلة من الأمام، وسامراً عندكم بعد
غد عند الساعة الخامسة، وأتمنى أن يكون كل شيء قد تمَّ حينذاك.

ذهب الفتى وهو يقرأ، ثم تذكر كيف كانت الفتاة تنظر للمرأة الأخرى التي كانت مع
عشيقها معهما في الغرفة وهي تكاد تلتهمها بنظراتها، وذكر أن قبعة المرأة كان عليها
ريشة من الأمام وكذلك الفستان؛ فقد كان كالفستان الذي طلبت الفتاة في خطابها أن
يكون فستانها مثله.

وعندما عرف لماذا أبىت حبيبته أن تقابلها على المحطة يوم سفره تملّكه غضب شديد
ويأس، ثم بدت الحال أمامه كأنها رواية هزلية، وذكر ما ذرفه من الدموع أمام من كان
يظن أنها تحبه مثل ما يحبها؛ فشعر بالخجل، ثم ضحك، وفكّر أنه كان عازماً على رفض
السفر، ولو كان في هذا الرفض طرده من العمل، وكل ذلك ليتمكن بجانب المرأة التي لا

تحبه، وأخيراً أمسك القلم ونذيل الخطاب الذي وجده بهذه العبارة: «لا تنسِي أن تصبّي
معك عمنك في ذهابك لمحلات اللوفر لتجربة الفستان والقبعة».«
وأخذ معه الخطاب كي يرسله لها، وشعر بالسرور بعد ذلك.
وسافر بعد يومين وقد تخلص من ذلك الغرام.

عن «الفرنسية»

قصة العذراء

هي زهرة لم تمتد إليها يد.
لقد عاشت عذراء وماتت عذراء.
لقد فضلت العرض على الحياة.

الجيش في تقهقر، فما على القائد إلا أن ينادي جنوده ويخطب فيهم قائلاً:

فلنتقهقر بانتظام حتى لا نخسر شيئاً، ولنحافظ على ذخيرتنا، حتى نصل إلى بلدة قريبة نحتمي فيها من شر الأعداء وننظم أمورنا، وسيكون طريقنا إلى هذه البلدة طريق الصحراء، وهو طريق متعب، ولكنه خير في الواقع من الوقع في أيدي الأعداء، وما أخالكم إلا موافقين على ما حدثكم عنه. الطريق منتشرة فيه الأديرة التي يؤمنها الرهبان والراهبات، فيجب أن نستولي في طريقنا على تلك الأديرة عسانا نجد فيها شيئاً من الزاد.

وافق الجندي على ما قاله قائدتهم، وكان واجباً أن يوافقوا؛ فالمركز حرج.
ساروا أياماً في الصحراء يعانون آلام السير، ولاح لهم في أحد الأيام بناء شاهق تظاهر عليه آثار القدم، وكان بسيطاً كالحصون، له باب ضخم يحسبه الناظر بباب مدينة، فما رأوه حتى تشجّعوا ونسوا تعبهم؛ فقد عرفوا أن البناء لم يكن إلا ديراً، ربما وجدوا فيه طعاماً وراحة من وعثاء السير.

وصلوا إلى الدير ففتحوه فلم يجدوا أحداً، إلا أنه بعد برهة جاءت سيدة متنمطة بالسوداد لا يظهر إلا وجهها، وسألتهم: ماذا يريدون؟

نادي الجند رئيسهم، فلما حضر أخبرته تلك السيدة أن المكان دير للراهبات، فلا يصح أن يتعرضوا لأحد بسوء، فهن نساء عزل، فأمنها القائد على حياة الراهبات وسألها شيئاً من الزاد لجنده.

اطمأنت السيدة وأتتهم بما طلبوا، فجلسوا في حديقة الدير يأكلون.

كان الضابط في الأربعين من عمره، وكان رجلاً لئيناً خسيساً شهوانياً، وأراد أن يسري عن نفسه ما بها من الضجر والتعب، وحسب أنه ربما وجد من يمكنها أن تسرى عنه في راهبة من راهبات الدير! يا الله! لقد بلغت به الخسفة والدناءة أنه يريد أن يدنس الدير الذي تتناجي فيه الراهبات مع ربهن، حيث انقطعن للعبادة بعيداً عن مظاهر الدنيا الزائفة.

انتهز غفلة من رئيسة الدير وصعد السلم، ومنه إلى غرفة كانت فيها راهبة، لحظها وهي تطل من الشباك.

كان على الراهبة مسحة من الجمال، هي البقية الباقيّة بعد تعب الصلاة والسهور وتحمُّل آلام تلك المعيشة البسيطة، بعد أن فرّت من الدنيا إلى ذلك الدير، لما رأت الشر وقد انتشر، والخطيئة وقد عمّت.

دخل المجرم يريد غرضه الدنيء، ورفع السيف في وجهها مهدداً إياها إن نطقـتـ كلمة واحدة فجزاؤها القتل.

سكتت تفكـرـ، ثم ابتسـمتـ له وتظاهرـتـ بالرضا، عجـباـ! ماذا جـرىـ؟ نظرـتـ إليه وقالـتـ: فلتـجـسـ لـتـسـتـريـحـ؛ فـيـظـهـرـ أـنـكـ مـتـعبـ.

جلس وجلست بجانبه فاطـمـانـ، واستـبـشـرـ بتـلكـ الغـنـيمـةـ الـبـارـدـةـ. قـالـتـ لهـ: عـجـبيـ لـكـ يا رـجـالـ الـحـرـبـ، أـمـاـ تـخـافـونـ الـمـوـتـ حتـىـ تـقـذـفـواـ بـأـنـفـسـكـمـ إـلـىـ أحـضـانـهـ؟

فـاسـمـعـ لـذـلـكـ الـجـبـانـ وـهـوـ يـجـبـيـهاـ: إـنـهـ الـظـرـوفـ هـيـ الـتـيـ تـضـطـرـنـاـ، فـوـالـلهـ لـوـلـاـ خـوـفـيـ

أـنـ يـقـالـ عـنـيـ جـبـانـ لـهـرـبـتـ قـبـلـ أـنـ يـعـرـضـواـ عـلـيـ تـلـكـ الـقـيـادـةـ الـمـسـئـومـةـ.

فـابـتـسـمـتـ وـقـالـتـ: هـلـاـ عـلـمـتـ أـنـ لـدـيـ دـهـانـاـ لـاـ يـعـرـفـ إـلـاـ فـيـ هـذـاـ الـدـيـرـ، إـذـاـ طـلـيـتـ بـهـ

جـسمـكـ لـاـ تـؤـثـرـ فـيـهـ حـدـةـ السـيـوـفـ؟

ـ عـجـباـ! وـأـينـ هوـ؟ إـنـيـ لـمـتـاحـ لـمـثـلـ هـذـاـ الـدـهـانـ.

ـ سـأـتـيـكـ بـهـ، وـرـبـماـ أـعـطـيـتـكـ قـلـيـلاـ مـنـهـ.

كان الرجل من أبناء ذلك العهد الذي سادت فيه الخرافات وقلَّ من لا يؤمن بها في ذلك العهد، فلا عجب إذا صدق بأن لديها دهانًا له مثل تلك الخاصة، وقد فكر في نفسه: أن ماذا يضيره لو هلك الجيش وعاش هو بفضل هذا الدهان العجيب؟
أنته بقارورة وأرته فيها مسحوقاً أبيض، فتأهف شوقاً عليه، ولكنه شك في حقيقته، وصرح لها بعدم تصدقه؛ فأخذت قليلاً من المسحوق وطلت به رقبتها ثم قالت له: ما دمت لا تصدق فهاك الدليل: اضرب بسيفك الحاد بكل قواك على رقبتي!
تردد قليلاً، ولكنها شجعته فضرب ...

لقد كاد يغمى عليه، فقد رأى رأسها وهو يتمايل، ثم رأى جسمها وهو يسقط على الأرض بلا حراك، إذن لم تكن هذه إلا خدعة، ولم يكن هناك ثمَّ دهان سحري.
ماتت الراهبة، وقد اسودَت الدنيا في وجهه، فلم ير أمامه غير شيئاً: جسم الراهبة «العذراء» وقارورة الدهان المزعوم، فأخذ يجول بنظره تارة إلى الجسم وتارة إلى القارورة، ثم انتابه شبه جنون ففتح باب الغرفة الموصدة وجرى بسرعة وسيفه المخضب بدماء العذراء لا يزال في يده، ثم نادى جنوده وهو يجري قائلاً: هيا، هيا من هذا المكان! وما زال يجري حتى لحق به بعض جنوده، فإذا هو يبكي كالأطفال الذين لا عقل لهم وهو يقول: قتلُتها ... قتلُتها! (موضوعة).

الروح الكورسكسية

لما سلمت جنوه جزيرة كورسيكا لفرنسا، وجدت جيوش لويس الخامس عشر نفسها أمام أعداء لا يستهان بهم، وكان هناك رجل متfan في حب وطنه اسمه: «بسکال باولي» نظم لهذه الجزيرة حكومة أخذت على عاتقها تجنيد جميع السكان، والوقوف أمام المغتصب الجديد؛ فكانت تلك الأزمان محنًا تتلوها محن، أظهر الفريقان في غضونها من ضروب البساطة ما أدهش العالم، ويجب الاعتراف بأن جيش «لويس المحبوب» النظامي وجد في باولي ومساعديه رجالًا لا يعرفون للموت معنىًّا، مما أثار إعجابهم. وكان من بين هؤلاء رجل يدعى كسيلا، بطل قصتنا هذه: امتنع هذا الكورسيكي الشجاع في قصر نونزا الذي كان يتحكم في منطقة الجزيرة كلها، وأبى بأنفة التسليم للأعداء، غير أن مدة الحصار طالت واشتدت الأزمة؛ فخشى القائد الفرنسي إذ ذاك وهو الكونت دي جران ميزون أن يصل المدد إلى المحاصرين، ورأى أن يعرض عليهم تسليماً شريفاً؛ فأرسل لهذا الغرض الكابتن فودمون ومعه ضارب على الطنبور، وسار الاثنان قاصدين الحصن، فلما وصلا إلى مسافة قريبة منه علق الكابتن شارة بيضاء في طرف حسامه ورفعها في الهواء، وما هي إلا بضع دقائق حتى رأى المنذوب علماً أبيض يرفع على قمة الحصن بالقرب من العلم الوطني الكورسيكي، فتقدم المفاوض محتازاً الهضبة، غير أنه وقف في مكانه عندما سمع صوتاً عالياً يقول: قف حيث أنت، من أنت؟

فأجابه: أنا مفاوض من قبل صاحب الجلة.

– وماذا يريد صاحب الجلة مني؟

– افتح باب الحصن وأنا أبلغك رسالتي.

– إن ذلك غير ممكن، ولكن أخبرني أولاً من أين أتيت؟

– لا يمكن الكلام لأن الهواء يهب رأساً في وجهي.

قال الكابتن هذه الجملة وتقديم قليلاً إلى الأمام، فقال له كسيلا: إن تقدمت خطوة أخرى إلى الأمام فستقتل في الحال.

فتمتم الكابتن فودمون قائلاً: إنه لرجل صعب المراس! ثم وضع يديه على فمه وقال: إن مولاي الكونت دي جران ميزون — قائد جيوش صاحب الجلالة — يرغب في حقن الدماء.

— إنه لشعور طيب فاجأته به أيها الكابتن، فأي ساعة تلك التي جعلتك تفكّر في ذلك؟

— إن ما جعلني أفكّر في ذلك هو ما نملكه من الذخيرة الوفرة، فعندها من المدافع اثنا عشر، ومن الرجال أربعة آلاف، في حين أن رجالكم لا يتجاوزون الخمسين عدداً. غير أن ذلك ليس ببيت القصيد، إبني ما جئت هنا للمفاوضة، إنما جئت لأبلغ رسالتى، فأكّرر إنه حقناً للدماء نعرض عليكم تسلیماً شریفاً.

— وإذا رفضنا ذلك؟

— حينذاك تكون مجبورين على إخضاعكم بحد الحسام، ومعاملتكم معاملة قاطعي الطرق الذين يأبون الخضوع لقواعد الحرب ويصممون على الدفاع الذي لا فائدة منه.

— حسناً أيها الكابتن! لكن إذا أشعلنا النار في الذخيرة ونسفنا أنفسنا والحسن سواء؟

— لا يمكنكم أن تأتوا عملاً كهذا.

— لا يمكننا! ولماذا؟

— لأن ذلك يكون منافياً لقواعد الحرب، ويعتبر عملاً وحشياً.

— حقاً! لقد علمت أفكارك، وعليه يجب كي لا اعتبر متواحشاً أن أسلم نفسي للذين حلو بجزيرتنا لسلب حريتنا وهم يدعون المدنية.

— أرجو عدم الخروج عن موضوعنا، فللمرة الأخيرة أتريدون ترك الحسن والخروج بالحيات العسكرية أم لا؟

— يجب عليَّ استشارة مجلسي أولاً؛ فأرجو الانتظار قليلاً حتى أعرفكم قرارنا. غاب كسيلا وبقي الكابتن في انتظاره، وانقضت مدة طويلة، وأخيراً أطل القائد من السور وقال: ليس في وسع المجلس أن يتخذ قراراً قبل أن يعرف شروطكم.

— قرروا أنتم ما شئتم؛ فإن سيدى القائد العام مستعد لنحكم كل الشروط التي تخولها له سلطتها.

- حسن جدًا.
 - مع العلم أنكم لا تطلبون المزيد.
 - لا بأس، فعليكم أن تحكموا.
 - أولاً: تخرج الحامية على صوت الطنبور رافعة أعلامها مع أداء كل التحيات العسكرية لها.
 - أوفق على ذلك.
 - ثانياً: تحتفظ الحامية بأسلحتها وأمتعتها ووو ... إلخ.
 - أوفق على ذلك.
 - ثالثاً: على قائدكم العام إعطاؤنا الخيال والمركبات الازمة لنقل الأمتعة المذكورة.
 - لا يمكنني موافقتك على ذلك.
 - إذن ونحن لن نخرج من الحصن، ولنستأنف القتال من جديد.
 - مهلاً! اصبر قليلاً، إنك لرجل نافذ الصبر، دعني أفاوض القائد العام، فربما منحكم هذا الشرط.
 - افعل ما بدا لك.
 - سأرجع بعد عشر دقائق.
 - حسناً ارجع متى شئت فلست مستعجلًا.
- فاوض الكابتن القائد العام؛ فأظهر هذا ترددًا في قبول شرط كسيلا، وكان يجهل قوة الحامية، غير أنه كان يخشى وصول المدد إليهم؛ فجعلته أهمية تلك المسألة الأخيرة يتخذ قرارًا. فأخبر الكابتن أنه مستعد لقبول الشرط الأخير على أن يكون التسليم في الحال؛ فرجع الكابتن إلى الحصن ولوح بمنديله، ولما جاء كسيلا قال له: منحناكم هذا الشرط على أن يكون التسليم في الحال بدون إمهال.
- فقال له كسيلا: قد اتفقنا إذن تمامًا الاتفاق، ولكن ... هل هناك فكرة انتقام؟
- كلا.
- أرجو عدم المواحدة إن ألحت؛ فإنك صغير السن، أما أنا فهرم، وقد علمتني التجارب أن آخذ الحيطة في كل أمر، ويقال يا كابتن إن الحساب المضبوط يوثق عرى الصداقة، فأرى أن نراجع الشروط المتفق عليها: تخرج الحامية وتحيى بالتحية العسكرية وتحتفظ بأسلحتها وأمتعتها وتعطونا العربات الازمة للنقل، أليس هذه كل الشروط؟

- نعم هي تماماً، وعلاوة على ذلك قد تعهد الكونت دي جران ميزون - قائد جيوش صاحب الجلالة - بشرفه أن ي عمل بالشروط المتفق عليها بلا أي نية سيئة ولا أقل ضغينة.

- حسن جداً، ولكن يجب أن تتعهد أنت أيضاً بذلك.

- أيها القائد، أتريد أن أعتبر قلة ثقتك إهانة لي؟ ووضع يده على حسامه.

- لا يا كابتن، إني لا أقصد إهانة أحد، ويمكنك إن فكرت قليلاً أن توافق على مسالكي، ويكتفي بي منك وعد شريف على احترام اتفاقنا، فإن أعطيتني هذا الوعد فلن ألح أكثر من ذلك.

- إني أعطيك وعداً شريفاً بذلك.

- إذن فليحضر رجال حرسك، وسأعد أنا كلّ شيء استعداداً للرحيل.

وصل رجال الحرس بعد عشر دقائق سائرين على النظام العسكري الكامل، وتقدموه حتى باب الحصن الخارجي، وهناك انقسموا قسمين واصطفوا منتظرین. وما هي إلا بضع دقائق حتى فتح باب الحصن فجأة، وعندئذ صاح الكابتن آمراً بالتحية العسكرية؛ فأطاع الجندي الأمر. وظهر القائد كسيلاً في وسط الصفين رافعاً بيده اليسرى العلم الكورسيكي وباليميني زختي الطنبور، وكان يضرب عليه بإتقان عظيم، وكان مرتدياً أجمل ملابسه العسكرية، وعلى رأسه قبعة ذات ريشة ذهبية، وهو يسير بتؤدة غير ملتفت من حوله. وكان رجال الحرس يكتمون ابتسامتهم بصعوبة والنظام العسكري يمنعهم عن إظهارها.

ولما وصل القائد أمام الكابتن فويمون الذي كان شاهراً سلاحه بالتحية العسكرية وقف أمامه ووضع زختي الطنبور في حمالتيهما، ورفع قبعته رداً على التحية، ثم استمر في سيره ضارباً على الطنبور بكل قواه.

سأله الكابتن: أين الحامية؟ ومتى تخرج؟

فأجابه كسيلاً: الحامية؟!

- نعم الحامية المدافعة عن الحصن.

- أيها الكابتن: إن الحامية كلها قد خرجت.

- يظهر أنك لم تفهم ما قلتني؛ ولذا سأوضح لك: ففي أي وقت يخرج جنودك؟

- لقد فهمت ما تقصد من أول لحظة وكلامك واضح، وأنا أخبرك أن الحامية كلها

خرجت بخروجي من الحصن.

- فدهش الكابتن أشد الدهشة وقال: هل هذا صحيح؟
- نعم صحيح كل الصحة؛ فإني كنت بمفردي في الحصن أدافع عنه.
- لقد خدعتني إذن وجعلتني لعبة! آه، سيهزاً بي الجميع، وسأصبح مضغة في الأفواه! ويلاه! إني كنت أفضل الموت على ذلك، فكيف أجر على العودة إلى باريس؟! ألم يكن هناك إلا كورسيكي واحد ليرسم لنفسه تلك الخطة الجهنمية؟! لقد قضيت بالسخرية على رجل فرنسي شريف يا سيدي.
- تلك مسألة أخرى يتوقف خروجك منها على ما تظنه كفيلاً بذلك، على كل منا أداء واجبه، وكان واجبي الخروج من الحصن بشريفي العسكري، وقد أفلحت في ذلك، فعليك أداء واجبك أنت أيضاً.
- واستمر كسيلاً في سيره ضارباً بكل قواه على طنبوره.

عن «الفرنسية»

العاصفة

هدأت العاصفة في الصباح قليلاً بعد أن استمرت الليل كله، لكنها بدأت الآن تجدد القوى وتنتأهب للهجموم. وقد ساعدت الريح العاتية التي كانت تهب من الجنوب سفينتنا على النجاة؛ إذ زجّتها داخل اليمّ حيث الأعماق عظيمة.

مرّ على ذلك ساعات قليلة هبّت بعدها الرياح من مختلف الجهات، وأزبدت الأمواج، وغطت السماء طبقة كثيفة من السحاب الأدكن، ومع أن الشهر كان شهر ديسمبر فقد كان وميض البرق يقطع الفضاء، وكان دويُ الصواعق يختلط بزمجرة المحيط. اهتزت السفينة اهتزازاً هائلاً، فاهتزت قلوبنا وارتعدت فرائصنا، اهتزت ثانياً فثالثاً؛ فخيل إلينا أن الأرض زلزلت، أخذت السفينة تهتز اهتزازاً متواصلاً، فحينما نرى الأمواج قد رفعتها فأوصلتها إلى الفضاء، وأخرى نراها وقد أخذت بها إلى لجة سحيبة لا قرار لها. كان الهواء يصفر صفيرًا مزعجاً يخترق جوانب السفينة، ولكن هناك صوت آخر سمع فجأة.

وكان صوت انكسار الصارية!

وبقيا كل منهما في مكانه ينظر للأخر نظرة عطف، بل نظرة خوف وإشراق. لم يلفظ أحدهما بنت شفة، فما أرهبه من موقف! قامت «هي» يعلو وجهها الأصفرار، وفي عينيها نظرة رعب، وحاول «هو» عبياً أن يهدئ روعها.

صعد إلى ظهر السفينة ليُخفِي ضعفه فرأى! ويا لهول ما رأى! رأى الصارية نصفين، ورأى الدفة في غير مكانها، أما مسیرها فقد هرب إلى مكان آخر. التفت الأمواج التي كانت في علوها كالجبال الشامخة حول السفينة، وأخذت قطرات الماء تتناثر على جبال الناس فتطفئ من حرارتها.

أيقن الجميع بالموت، واستعد النوتية للقاء بشجاعة غريبة، ولا عجب! فهم أبناء البحار لا يهتمون بالموت؛ لأنهم يعرفون أنه مصير كلّ حي.
ورأى الربان «هو» في اضطراب زائد فقال له: «وددت لو أنقذكما، ولكن لم يبق لكم إلا الموت معى مثل الباقيين.»

وكان الربان على حق فيما يقول؛ فإنه لم يبق إلا الموت للجميع، فقد ثغرت السفينة من جديد، وهجم الماء داخلها كجيش ظافر يدخل مدينة افتحها.
أراد «هو» أن يندفع نحو الحجرة إلا أنه رأها أمامه مسدلة الشعر، مصفّرة الوجه؛ فأخذها بين ذراعيه وضمها إلى صدره كأنه يودّعها.
وإذ هما على تلك الحال رأيا موجة هائلة مقبلة نحو السفينة، وكانت كلما تقدمت عظم حجمها؛ فأخافت هي رأسها بين ذراعيه؛ حتى لا ترى ذلك المنظر المرعب.
انقضّت الموجة على السفينة انقضاض الوحش على فريسته؛ فقلبتها رأساً على عقب وباتلعتها.
ولم يبق من آثارها إلا بضع أخشاب صغيرة عائمة.

عن «الفرنسية»

قصص عن الكاتبة الإنجليزية الكبيرة
لويز هيلجرز

ابنني الصغيرة

لقد تألمت ألم اليأس في مبدأ الأمر؛ فقد كنت أودُّ من كل قلبي أن يكون ولدًا، ولكن عندما وضعوها بين يدي ورأيت وجهها الأحمر الصغير يشبه تمام الشبه وردة مفتوحة الأكمام، وصل حبها إلى أعماق قلبي وظهرت لي الدنيا بمظهر جديد، بسبب ابنني الصغيرة هذه، وفي أشد الأيام ظلامًا كانت لي ابنني الصغيرة قوس القزح الذي يظهر في الأيام المطرة، وإذا أشرقت الشمس كانت تظهر لي أشعتها أشدَّ لمعانًا، وإنها كالذهب الوهاج؛ لأنها كانت تسقط على شعرها الجميل. لقد كان لابنني الصغيرة أجمل شعر، وكان يتوجج كالذهب والترجس. أما لون عينيها فأظنك تعرف لون زهرة البنفسج، لقد كان هذا لون عينيها.

من المحال أن يوجد في العالم كله طفل أجمل من ابنني الصغيرة، لقد كانت هبة السماء إلى، وكانت أسميتها دائمًا: «ابنني الصغيرة» حتى عندما كبرت وتعرّفت، وشبَّت بعيدة عنِّي؛ إذ جاء الوقت الذي حل فيه أصدقاء المدرسة وألعاب المدرسة محلَّ أمها، حين امتنعت عن الحضور إلى تشكو أتعابها وتشركني أفراحتها، حين أصبحت مظاهر العطف والحب تسبِّب لها السأم والضجر، وحين أصبحت الأم من المنففات وهي تقول: «لا يجب أن تفعلي هذا». ولكن لهذه الأم أيضًا يدان بارتدان في بعض الأوقات، حين تكون الرأس ملتهبة بالألم.

لم تكن رأسي هي التي تلتهب بالألم في بعض الليالي، بل كان قلبي حين كنت أللّاصق في السير إلى غرفتها بعد نومها وأقبلَّها قبلة المساء، لقد كان يخيل لي لحظة أن طفلتي قد رجعت إلى، وهي نائمة، بشعرها اللامع، وقد انسلَّ على وسادتها، وإذا كانت تحلم في نومها إذ ذاك برفيق مدرسي، فقد كنت أميل إلى الاعتقاد بأن فكرة والدتها هي التي كانت تجعلها تبتسم بسعادة وثقة، عندما كنت أقدم وأقبلَّها في جبهتها.

وعندما بلغت ابنتي الصغيرة الثامنة عشرة كانت جميلة، وكان الناس يلتفتون ويتحدثون عنها عندما كانت تمر في الشارع، وكان يسرني أن أصنع لها البسيط من الثياب البيضاء التي كانت تظهر فيها كأنها زهرة من زهورات الزنبق، وكانت أحبت أن أسمع إطراء الناس لها وقولهم: كم كان يجب أن تكون فخورة بها، وكانت أتأوه حزناً عندما كانوا ينظرون إلى بناتهم، وكانت هذه الفكرة تملّك عليّ مساعري أحياناً حتى تجعلني أنسى وحدتي عندما تكون ابنتي الصغيرة خارج المنزل في نزهة مع الأصدقاء. كان لابنتي الصغيرة كثير من الأصدقاء، حتى وجدت من الضروري أن تدرج أنها بينهم.

نعم، إن الشباب يميل إلى الشباب، كما تنمو زهرة الشمس إلى ناحية الشمس. وأظن أنه من الصعب أن تعتقد ابنة ثمانية عشر ربيعاً أن قلب الأم قد يكون لا يزال فتياً كقلب طالبة صغيرة، وأنها قد تكون على استعداد للاشتراك في الضحك والهدر الذي حولها.

فقد جاء وقت ابتعدت فيه عن ابنتي الصغيرة حتى ظننت أنها لن ترجع إلى ثانية، وكان هذا عندما وقعت في شباك غرام ذلك النوع من الرجال الذين تجدهم في المصيف إلى جانب البحر، لقد كان شكله كشكل الرجال الذين تراهم في صور «الكارت بوسطال». أما ابنتي الصغيرة التي كانت تظن أنها تعلم الكثير – والحق أنها لم تكن تعلم شيئاً – فقد اعتقدت أنه أمير بين الرجال، لا لشيء إلا لأن له شعرًا مجعدًا حالك السواد ... وله سيارة، وكانت تستاء إذا تعرّضت له بنقد، وكانت ترمياني بأنني من دعاة القديم وأنني غير عادلة، بل وفوق ذلك أتنى كنت حسودة.

وهي لا تريد أن تبقى في خزنة من زجاج، ولا تريد أن تموت وهي فتاة عجوز كي تسر أحداً، وقد امتنع عن الحضور إلى المنزل، ولكن كنت أعلم أنه كان يقابلها مرازاً في الخارج، ولقد مررت عليهما مرة وهما في السيارة.

وكان هو الشاب الصغير، الجميل الشكل، الأسمر الوجه، ينظر في وجهها، وكانت ملامحها هي تدل على الاهتمام والخجل، وسقطت خصلات من شعرها الجميل على وجهها، وامتلأت عينها بأحلام الفتاة الصغيرة ... هي أحلام متواضعة حمقاء، كنت أعارض فيها؛ لأنها كانت أحلام ابنتي الصغيرة، وكانت أخاف غاية الخوف أن تستيقظ منها، وفي يوم من الأيام حدث ما كنت أتوقع، وابتعد عنها هذا الرجل كما كان قد حلّ فجأة، وكان عذرها كل الأعذار، عذر العمل، ووعده كما هي العادة، أن يكتب وأن يرجع في العام القادم.

ابنٰتِي الصغيرة

هه، لقد انْتَزَعَ من حياتها كما تُنتَزَعُ الروح من الإنسان، ولكن كان واجبًا علىَّ أن أحبه؛ لأنَّه في ليلة رحيله فقط رجعت إلىَّ ابنتي الصغيرة، وبينما كانت تشهق بالبكاء بين ذراعيَّ وهي تقضي علىَّ قصتها، خُيِّلَ إلىَّ أنَّ حجرًا أزيح من فوق قلبي حتى سمعت دقاته تصل إلىَّ أذني، وذلك لأنَّني علمت أنَّ ابنتي الصغيرة قد عادت إلىَّ.

عن «لويس هيلجرز»

عشاء اثنين

بعد عشر سنوات قضها مورنمير بليل في مركز عمدة البلد المحترم؛ إذا به يشعر الآن أنه قد ضاق ذرعاً بهذا العمل الذي يسير على نمط واحد، كان راجعاً إلى منزله بعد مناقشة طويلة مع القسيس حول الطريقة المثلية للتوزيع صدقات عيد الميلاد على الفقراء، وخطر بفكرة فجأة أن الغضب قد أخرجه عن جادة الصواب، وأنه أصبح فظاً لا يتحمل أكثر من ذلك.

وهنا خطر بباله اسم باريز السحري، وكأن شفتيه قد نادتها! لم يفكرا في باريز منذ عشر سنوات عندما نفض عن نفسه غبار ذكرياتها القاتمة، بعد أن هاجر من مونمارتر. ولكن الآن وقد أخذت الذكريات تسرع في العودة إليه وكأنها شبح هائل قد استيقظ من نومه، وبدأ يسر إليه بكل الأفكار الجنونية، طرق النزهة المضاءة ليلاً بأنوار الكهرباء، وصوت الموسيقى وهي تعزف في المطاعم، والشارب المريء، والتنزه داخل العربية في غابة بولونيما عندما يُطلّ القمر من سمائه والنجوم من علائتها، وإلى جانب المرء امرأة يلذ له أن يشم رائحة مساحيقها وسوائلها المبردة، امرأة! إيه! لقد كُنَّ كثيرات، غير أن وجهها واحداً هو الذي عاد إلى ذاكرته وهو مرتكز إلى الحائط يتحقق في شجرة أمامة.

وجه جميل، تضيئه الحياة كما يسطع النور من خلال المصباح الياباني الورقي الملون، بضم صغير وشعر لامع حalk السواد.

وقد ظنَّ أنه نسي اسمها، ولكن عندما حدّق بقلبه في شكلها تحرك اسمها من قبور النسيان وعاد إلى الحياة ثانية.

وقد ناداه بصوت عالٍ، حملت رياح ديسمبر الباردة صداح ورددته مصحوباً بأئنة سخرية: مرجوت.

وفي اليوم الثاني وجد نفسه في باريز، وكان ذلك في مساء ليلة عيد الميلاد، وعندما درجت به السيارة من محطة الشمال وجد الحال كما كان، كانت هناك سلسلة طويلة من الأنوار الذهبية المتلائمة، والضاحكات تتعالى، والبشر يعلو الوجوه، وكانت الموائد في خارج المطاعم ممتلئة كلها بالفرنسيين الملتحين السعداء، وبينهم المرأة منتشرة هنا وهناك كالزهرة، وكانت الإعلانات الكهربائية تظهر في أعلى المباني بألوانها المختلفة، وفوق كل ذلك كانت هناك رائحة باريس السحرية، تلك الرائحة التي لا يمكن تعريفها أو إدراك كنهها، وقد ملك عليه ذلك حواسه؛ فانصرفت عنه السنوات العشر التي قضتها بعيداً وحيداً، وكأنها لم تكن، وقد كاد يرقص طريراً وهو في السيارة تدرج به من ناحية الإليسيه حيث يوجد الفندق.

وفي المنتزه الواسع، الذي كان ممثلاً بالنساء، وكأنهن طيور من الجنة، و كنت تسمع فيه حديث طائفة من النمسويين، وجد أنه ليس بين وسط باريس! فهذه ليست باريس التي عرفها، باريس التي كان يمكن للإنسان فيها أن يحب ويعيش كالملاوك ببعض سنتيمات.

ولكن بعد أن استحمَّ وانتعش جسمه، ظهرت له كأنها امرأة فاتنة يرغب فيها، وكأنها طوقت عنقه بذراعيها، فخرج ثانية إلى الليل، الليل وهو في باريز أكثر إشراقاً من النهار، ونادي عربة سارت به إلى «الرستوران بلان» بشارع بيجال؛ فقد حدث له أنه هناك، وقد انتقى هذا المطعم من بين كل المطاعم التي كان يتناول فيها طعامه في وقت ما أو بين آونة وأخرى. كان معتاداً أن يتناول طعام العشاء في ليلة عيد الميلاد، حقاً إن هذا المطعم لم يكن على جانب من الأبهة، وكان يؤمُّه متوسطو الحال فقط، ولكن على كل حال هنا قد تناول طعام العشاء مراراً مع مرجوت، وفي ليلة عيد الميلاد، ولكن أسرعت الذكريات في العودة! – كانت تلبس رداءً أحمر، وعندما خلعت عنها رداءها الخارجي تمايلت أمامه كالزهرة. مازا حدث مارجوت الصغيرة؟ لقد أحبتَه جدَّ الحب، ولقد تفارقا على أحسن ما يتفارق الأصدقاء عندما راقت له الحياة الجديدة، لقد صاحت وبكت على كتفه، وتركت بقعة بيضاء كبيرة من مساحيق وجهها على هندامه، ولما كانت الدموع تجول في عينيه فقد وعدها ألا يغفل تناول طعام العشاء معها ليلة عيد الميلاد المقبل.

وقالت وقد رفعت وجهاً مندى إلى شفتيه: لن تغفل الحضور؟
 فقال بهدوء وهو يرجو أن يلحق القطار: لن أغفل.

وبالطبع لم يفِ بوعده، فوعود الرجال الغرامية للنساء كوعودهم لتأجر الأقمشة الذي يشترون منه بالدفع؛ فهي ترضي الاثنين في حين أنها لا تكلّفهم شيئاً!

لم يتغير شيء في «الرستوران بلان»، حتى الزهور الصناعية التي كانت فوق رأس السيدة التي تستلم النقود كانت هي بعينها، يعلوها بعض التراب فقط، وكان هناك عدد قليل من الزبائن مبعثرين هنا وهناك على المائدة؛ ولذلك لم يجد صعوبة في أن يختص لنفسه في القاعة الطويلة نفس المائدة التي كان يجلس عليها هو ومرجوت، يشرب كل منها نخب الآخر من زجاجة من النبيذ الأحمر الرخيص الثمن.

حسناً، أما الليلة فله أن يتناول طعام العشاء من أحسن ما يمكن أن يقدمه المطعم من الأصناف، ويمكنه أن يشرب ذكرى مرجوت من شراب غالى الثمن. ولما كان من غير الصواب أن يتناول الطعام منفرداً فإنه إذا دخلت المطعم فتاة أجمل من تلك التي تشير إليه بعينيها وتبتسم له بغير انقطاع من المائدة الأخرى، فهو لن يغفل أن يدعوها لتناول الطعام معه، فباريز مدينة لحظات لا مدينة آداب! وهنا انفتح الباب الزجاجي في آخر المطعم، ودخلت وقد هبت على أثرها نسمة من الهواء البارد ارتعد بتأثيرها الذين كانوا جالسين على مقربة من الباب.

هي أيضاً لم تتغير، حدق فيها بعينيه، وقد ارتسمت عليهما آثار الدهشة، حدق في كل جزء منها وهي سائرة في القاعة مقابلة نحوه، وجهها الأبيض، فمها الصغير القليل الأحمرار ...

وكانت تلبس رداءً طويلاً يخفي كل جسمها، عشرة أعوام مرت لم تتغير في إبانها أقل تغيير، بينما هو قد أصبح أبيض الشعر! لقد كان الأمر غريباً حقاً، لقد كان حلماً أو شيئاً آخر بلا ريب، وكان لا يزال يحذق في الفضاء كالحمقى حين وصلت هي وجلست أمامه، ولم يظهر على وجهها أي أثر للدهشة حين قابلت عينها عينيه، وقالت: ها قد أتيت أخيراً!

ووصل إليها صوتها كأنه أَنَّات، وامتدت يدها إليها: أي مرجوت صغيري! إنك أجمل من أي شيء آخر، أعني أنك لم تكبري يوماً واحداً، أما أنا فقد أصبحت كهلاً ... وامتدت يده إلى رأسه، وأزاحت هي الرداء عن ظهرها كما تتحرك السحابة وقالت: لقد كنت أولي الحضور إلى هنا كل عام، وقد طالت مدة غيابك.

وظهرت أمامه وهي في ردائها الأحمر — وربما كان ذلك من أثر كهولته — كالزهرة، واعتذر هو قائلاً: «إن الحياة مختلفة هناك في إنجلترا، لقد كان كاهلي متقللاً بالواجبات يا مرجوت؛ فلم يكن الحضور من السهل عليّ، ولكنني مسرور لأنني رأيتكم أخيراً، هل تعلمين ...؟

وكانت الخمر قد أذكت من دمه: «إنه كان على أمل رؤيتك أن حضرت إلى باريز، وعلى أمل رؤيتك حضرت إلى هنا الليلة...»
— بعد عشر سنوات؟!

وكان لصوتها رنة غريبة مثل صوت البرق...
وحرك يده: وبعد، فما هي عشر سنوات؟ إن عشر دقائق أقضيها معك يا مرجوتو
لتنمي أياماً لها هذه السنوات العشر.»

ولما حضر الخادم يحمل في يده طبق طعام سقط الطبق فجأة من يده، وتناثرت
شظاياه وقد أحدثت صوتاً مزعجاً، وظهرت الدهشة في عينيه وهو يتحقق فيهما، ثم اعتذر
لبليك: «فليسامحني سيدي وكذلك سيدي، فلقد سمعت، بل إن كلنا قد سمعنا...»
ودارت عيناه على كل الذين كانوا موجودين بالمطعم.

— «إن سيدي كانت قد ماتت، والآن أراها هنا ثانية، وهي أصغر منها سنًا من أي وقت آخر!...»

ثم انصرف الخادم ليحضر طعاماً آخر، فضحك بليك وقال: لقد ظنك هذا الفتى
شبحاً من الأشباح، هل لك أن تشربى قليلاً من الشمبانيا؟ إن الأشباح و«العفاريت» لا
تشرب الشمبانيا.

وابتسمت في عينيه، ومست أصابعها أصابعه، ثم قالت وهي تشرب نخبه: إني أشرب
نخب عشر سنين مضت!

وقال بليك بأسف: أي أيام كانت تلك؟! وقد أترعنت كأسها بالحياة حتى فاضت على
جوانبها، وكان الليل فيها أفضل من النهار. مرجوتو! صغيرتي مرجوتو! هيا بنا نرجع
عشر سنوات إلى الوراء.

قال ذلك وقد اقتربت رأسه منها فوق المائدة.

أما هي فقد ابتسمت ببعض الاستغراب، ولكنها كانت جميلة جدًا، وبعد فإنها قد
تغيرت، وبينما كان يتحقق فيها بنظره وهي تخلع قفازها من يدها لاحظ أن النور الداخلي
الذي كان يشعُّ من وجهها الجميل قد اختفى وتركها خاملة. وكانت هناك تجويفات
صغريرة تحت عينيها، وكأن أفكاكاً كثيرة قد تجمعت فيها، واستولى عليها سكون ورمانة
غريبة، وكأن أعضاء جسمها قد تأثّرت أيضًا، ولم يكن قد عرف أبداً أن لها مثل هذا
السكون واللقار.

وعلى كل حال لقد فُضِّل مرجوت الأولى، ولكن يظهر أنها بدأت تعود إليه ثانية إِبَان تناولهما الطعام، فابتداً الضحك يتدفق من فمها كما يتدفق الماء من اليبيوع، وعاد اللون إلى خديها.

والآن وجدتها محبوبة حَقًّا، وذهب بفكره إلى الوقت الذي سيكون فيه إلى جانبها داخل عربة تخترق بها الشوارع الصاخبة، وإن ذاك سيضمُّها بين ذراعيه. ولكنه حزن جد الحزن عندما عرف أنه ليس له أن يوصلها إلى منزلها؛ إذ قالت: إنني لا أستحسن ذلك ...

ولكن عندما قرأتها السلام وأخذها ظلام الليل لون الزهرة، كما يستغل ظلام الليل لون الزهرة، سمح لها أن يزورها في الغد. ولكنها قالت: ولكن لا تلمني إذا لم تجدني! ولكنها وقد ابتسمت إذ وضعت يدها على يده، ابتسم هو أيضًا لأن فكرة مسيرة قد مررت بفكرة.

ولكنه عندما فَكَرَ صباح اليوم التالي في الذهاب إلى المنزل نمرة ١٥ بشارع باب سان جان وسأل عنها، حدَّقت فيه حارسة الباب باستغراب وقالت له: ولكنها قد ماتت يا سيدي! ولكن هَرَّ كتفيه واستند إلى الباب وقال: إن هذا محال، لقد تناولت معها البارحة طعام العشاء.

فهزمت حارسة الباب كتفيها بدورها وقالت: لا ريب أنه حصل خطأ يا سيدي، لقد توفيت منذ نحو ستة أسابيع، وقد رأيتمهم حين أخرجوها من هنا، وكان الجنائز حقيرًا أيضًا، لم تكن هناك زهرة واحدة، وإنما صدقني سيدي أخبرته أنه لم يكن عندها رغيف خبز واحد أيضًا. نعم، كان يزورها الكثيرون إِبَان حياتها، ولكن أي فائدة ترجى من امرأة ميتة؟!

فقال مورتимер بليك وقد شجب وجهه: ولكنني أُخْبِرُكَ أَنِّي تناولت معها البارحة طعام العشاء، وكانت ترتدي رداءً أحمر، ورداءً خارجيًّا أسود مُحَلَّ بالفرو، فحدجت حارسة الباب بليك بغلظة وقد وثقت أنه معتوه أو ثمل. لم تكن هناك وسيلة ...

وبينما كان يسير في الشارع الطويل الشائب، لامست خده ريح باردة كأنها يد امرأة ميتة.

عن «لويز هيلجرز»

العلم

لقد كان علم فرنسا هو الذي يخنق فوق حقول الحنطة، أحمر وأزرق وأبيض. وكانت الأزهار والنباتات ترقص في هواء الصباح البارد.

وظهر وسط الحقول منزل قاتم اللون، وكأنه رابض هناك. بدأت الشمس في الظهور، وأرسلت أشعتها إلى ذلك البيت، وخرجت فتاة ظهر من لباسها أنها من القرويات، وهي صبورة الوجه، يظهر على وجهها الساذج آثار الجمال.

و حولها كانت أصوات الدجاج تعلو، وصوت صياغ الديك يصل إلى مكان بعيد. إلا أن عيني الفتاة كانوا يحدّقان في سحابة زرقاء تسير في السماء، ثم تثبت أخيراً بين الحقول.

هزت كتفيها في اشمئزاز: «الحرب ... مرة أخرى!» وضررت الأرض برجلها وهي غضبي. لم تكن لها فائدة من استمرار تلك الحرب التي كانت تأخذ من القرية أجمل شبانها، وترسل بهم — إن لم يكن إلى الموت — إلى الفخر والمجد.

وفي الطريقين ضياع مستقبل فتيات القرية! كانت الحياة في القرية تمر ببطء وتمهل كسَير الرجل الكهل الذي بلغ من العمر عتياً.

كانت نظارة الفتاة ثابتة على الدخان وهو يتتصاعد من إحدى الجهات حتى إنها لم تسمع صوتاً بين سنابل الغلال؛ ومن ثم قفز رجل وأسرع يحتمي بالباب، وصاح بحذر صيحة صغيرة، ثم انتصب واقفاً أمامها.

هو رجل عليه ملابس جنود فرنسا، وهو ممزق الثياب متربها، جميل رغم هذا التراب الذي كان يعلو كل جزء من جسمه، له عينان سوداوان لامعتان: «يا إله السماء! لكم أربعيني ...»

كان في صوت الفتاة رنة حياء، رغم أنها كانت تحدق في وجهه، وتکاد تلتهمه بنظراتها.

ثم أسدنت ذراعيها إلى الباب، وقالت له وكأنها قد عادت إلى الحياة: «أطن أنك آتٍ من المعركة؟ لقد كانت رحى الحرب دائرة هناك، أليس كذلك؟» وأشارت ببهزة من رأسها إلى الجهة التي كان الدخان لا يزال يتصاعد منها. وقال الرجل مزاجراً: «هؤلاء الألمان الخنازير! ... هم لا يهمهم إلا القتل والقتل، إنهم لا يريدون الفتاك بفرنسا، بل يريدون أرواح الناس فقط ... وقد هجموا علينا مفاجأة هناك ...» ثم استراح قليلاً وهو يستند إلى باب المنزل، وضحك ضحكة أشبه بشهقة: «أطن أنني الفرد الوحيد الذي يَقْرِي على قيد الحياة وأنا ...» ثم سكت فعاد المكان إلى سكونه.

وتقدمت إليه الفتاة وهي مرتعبة، ومدت له يدها قائلة: «هل أنت مصاب بجرح أو شيء؟ دعني أحضر لك شيئاً؛ ماء أو أي مساعدة أخرى؟ ماء أو ...» فهز رأسه، وظهرت ابتسامة هزء وسخرية على فمه أبانتها أنسانه البيضاء، ثم ضرب الأرض بيده وقال: «لقد مضى زمني يا فتاتي، إن لدى خرقاً هنا كفيلاً بأن يزهق حياة قطة ذات تسم أرواح، ولكن قبل ... رحيلي ...» وأدخل يده إلى صدره وقال: «انظري هنا أيتها الفتاة..» ونظرت الفتاة باستغراب إلى ما قدمه إليها وقالت: «ما هذا؟» وقد ظهر لها كأنه قطعة قماش ملونة لفت بنظام، وقال بصوت أخش: «لقد أنقته بأي الأسعار!»

ثم فرد قطعة القماش وقال: «علم فرنسا! لم يحصلوا على هذا — على الأقل — هؤلاء الألمان الملائين، انظري هنا أيتها الفتاة ...» ثم أطبق يده على معصمها الذي لوحته حرارة الشمس وصاح بها: «يجب عليك أن تحافظي على هذا ...» فقالت: «دعك من العلم.» ثم أمسكت اليدي التي طوقت معصمها بشجاعة: «إنه على أي حال قطعة قماش، وأنت شاب جميل، وأنا أريد أن أساعدك، لا تذهب.»

وكان في عينيها بريق غريب بينما كانت تحدّق فيه: «في إمكانني أن أخبّئك.» وقد شعرت أن يده قد انفضّت عن يدها وقد صاح بها: «خبئي فرنسا بدلاً مني، إيه أيتها الفتاة! إن العلم هو فرنسا، يجب ألا يصل إلى أيدي الأعداء الألمان، هل تسمعين؟»

وكان يتكلم غاضبًا، ثم بدأ يلُفُ قطعة القماش بسرعة، ونظر إليها بيأس يبحث عن مخبأً... ثم تكلَّم ببطء: «إن ملابسك واسعة، خبيئه هنا، فرنسا في صدر امرأة! إنه لحسن آمن من برلين!»

ثم قال بصوت عالٍ: «أسرعِي أيتها الفتاة!»

ثم بدأ يلاحظ الفتاة باهتمام وهي تفتح صدرها بأصابعها الكبيرة، وبعد أن أقفلته ثانية.

وبينما هو ينظر إذ خارت قواه وارتدى ناحية الباب، وكاد يقع لولا أن أسدنته الفتاة بذراعها، وهذا لحظة قصيرة وهو بين ذراعيها، ثم تململ بحركة صغيرة مؤلمة، وحاول أن يقف، وسمعته الفتاة يقول لنفسه: «خير لي أن أذهب، فيظهر أنه أقرب مما أظن!» ثم تحول إلى الفتاة وحَدَّقَ فيها بعينيه السوداويتين: «أصغي إلى أيتها الفتاة، إذا مرَّ الألان من هذه الناحية فاذكري أنك لم تريني والوقت لا يزال مبكراً، فسيصدقونك.»

ثم نظر حوله إلى هذا العالم الذي لا يحوي إلا تغريد الطيور، وصوت اهتزاز سنابل القمح وهي تتماوج في الهواء، قالت الفتاة وقد احمرَ وجهها خجلاً: «قبلني — على الأقل — قبل رحيلك.»

نظر إليها ببرود وقد وقفت أمامه ملتهبة العاطفة، عليها كل جمال الشباب، ثم هزَّ كفيه وصاح: «واهَا! إنكَنَ — معاشر النساء — لكنَّ على شاكلة واحدة، إنك تحملين فرنسا في صدرك، ثم ...»

وضحك ضحكة مغتصبة: «وأنا رجل ميت، ومع ذلك تتحديث عن الحب؟! الحب! ... إيه! إنها الحياة هي التي أحتاجها أيتها الفتاة!»

وقد قذفها بهذه الكلمات، وإن هي إلا أحجار ثم سار في طريقه. وانثننت هي فوق الحاجز الخشبي بسكون، وبدأت ترقبه وسنابل الغلال تنفرج عن بعضها لتسمح لجسمه بالمرور، إلى أن سكن الصوت. ولم تبق إلا الأزهار وهي ترقص والهواء يداعبها.

ضررت الفتاة صدرها بيدها وصاحت: «فرنسا! أنا أكره فرنسا!» وقد جالت الدموع الكبيرة في عينيها.

عن «لويس هيلجرز»

حديقة

إني في غاية السرور لإعجابك بحديقتي؛ فإن كثيرين يرون أنها خالية لا تحوي شيئاً، وكل أزهارها بيضاء اللون كما ترين، وهم يقولون لي إن الحديقة تحتاج إلى الألوان الزاهية كي تجعل لها منظراً، ولكنهم لا يعلمون لماذا أفضل الأزهار البيضاء.

ولتكن أظهرت كرماً؛ فزرت امرأة عليلة تسكن في غرفة مظلمة عدة مرات، مع أن الشمس مشرقة في خارجها؛ ولذلك سأخبرك بما لم أخبره لأحد قط، وهو: لماذا كل حديقتي بيضاء اللون؟

إنها منظمة على نسق حديقة رأيتها منذ مدة في حلم، ولم يكن هذا بعد مدة طويلة من تاريخ خطبتي إلى كرستوفر، نعم كنت مخطوبة في يوم من الأيام. لقد كان شعري جميلاً إذ ذاك، مثل شعرك، وخداي موردين مثل خديك!

حقاً كنت يا عزيزتي – ويمكنني أن أقول ذلك بغير غرور ولا خيال كاذب – فتاة أجمل منك. لقد كان كرستوفر يقول دائمًا إني أجمل فتاة رآها! وقد كان يعرف كثيرات. لا يمكنني أن أظن أنه كان لفتاة حبيب أحسن من ذاك، في مثل هذا اللطف وهذا الذكاء وهذا الحرص. إني عندما أقارنه إلى هؤلاء الشبان الذين أسمع عنهم الآن، وهم في عجلتهم الدائمة حتى عند مطارحة الغرام، لا أملك إلا أن أشفع على الفتيات اللاتي سيعشن معهم.

لم يكن هناك غير أمر واحد، كنا دائمًا على خلاف بشأنه، من يوم أن تعرفت به، وذلك كان شجاعته الجنونية أو جسارتـه الحمقاء، كما أسميهـا، وبعد أن اشتري سيارة لم أعرف دقةـة راحـة واحدة، وقد صـممـ علىـ أنـ يـقودـهاـ بـنـفـسـهـ، وـلـمـ يـكـنـ يـقـنـعـهـ إـلـاـ سـرـعـةـ فـائـقةـ عنـ الحـدـ المـقـرـرـ، وـكـانـ يـصـطـحـبـنـيـ مـعـهـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ، وـإـذـ ذـاكـ كـانـ روـحـيـ تـكـادـ تـزـهـقـ،

وكنت أتوسل إليه والدموع في عيني لا يخاطر بحياته، فكان يقول: «المخاطرة، إن الحياة لا تساوي شيئاً بدون مخاطرة، إني أفضل حياة قصيرة بشرط أن تكون سعيدة.»
ثم يستمر في سيره وهو يصرخ، وإنني لأذكر أنه نطق بنفس هذه الكلمات مرة أخرى
ليلة أن حلمت حلمي الخاص بالحديقة.

لقد نمت مبكرة وأنا أفكِر في كرستوفر، وقبلة المساء التي طبعها على فمي وهو يوعدني، وأنا لا أذكر ما حدث عقب نومي، ولكن فجأة رأيت حديقة؛ لقد كانت أجمل مكان رأيته في حياتي، وخيل إليَّ أنني وافقة فوق تلٌ، وتحتى الحديقة كانها زهرة في ضوء القمر، وكانت كلها بيضاء. وكان شكلها وأنا في موقفٍ كشكُل حقل من زهر الزنبق، ولما كساها القمر بضوئه ظهرت كأنها قد اكتست بحلة فضية، ثم بدأت أنزل من فوق التل لا سبب إلا لأنني شعرت أنه يجب أن أدخل هذه الحديقة، ولكن يظهر أن الطريق كان طويلاً، وكان المر في أسفل التل ضيقاً وكثير التعارض، وكان يظهر دائمًا أن هناك شخصاً يسير أمامي في الطريق، ولم يمكنني أن أراه؛ لأن المنحنيات التي كانت في الطريق كانت تُخفيه، ولكنني كنت أسمع وقع أقدامه، وقد وصل إلى الحديقة قبلي؛ فإني لم أكُن أصل إلى آخر الطريق حيث ظهر ممتدًا أمام ناظري وهو ناصع البياض في ضوء القمر، حتى سمعت الباب يغلق وراء شخص، وتلاشى صوت قدم بين الزهور، حتى إذا وصلت أنا إلى المدخل لم يظهر أثر لأيِّ كان، وعرتني رعشة فجائحة، وشعرت بالخوف من هذه الحديقة المنسية البضاء في ضوء القمر.

ولكني علمت إذ ذاك من هو الذي سبقني في الدخول إلى الحديقة؟! ولهذا كل حديقتي بيضاء.

عن «لويز هيلجرز»

روبيسيير يرتد خائباً

قصة من الثورة الفرنسية

هزَّ روبيسيير كتفيه وقال: كما تريدين، طبعاً، ولكنني أذكر — أيتها المواطنـة — أن الحياة غالـية، وأن القـبر بـارد، ولو كنت في مركـزك ... ولكن دـنـيزـدي فـرانـكـورـت اـبـتـسـمـت بـدـورـهـا وـهـي تقـاطـعـهـ: إن المـوـت لأـفـضـلـ منـ الـحـيـاـةـ معـكـ.

وعـرـتـها رـعـشـةـ شـدـيدـةـ وـهـزـتـ كـتـفيـهاـ، أـمـا روـبـيـسيـيرـ فقدـ نـفـضـ بـعـضـ الغـيـارـ عنـ رـدـائـهـ وـقـالـ مـلـاطـفـاـ: «إـنـكـ لـتـخـطـئـنـ أـيـتهاـ المـواـطـنـةـ، إـنـنيـ لـأـقـدـمـ لـكـ المـوـتـ، فـسـتـعـيـشـينـ عـلـىـ كـلـ الـحـالـيـنـ، إـنـهـ حـبـيـكـ فـقـطـ الـذـيـ إـنـ أـخـطـأـنـ الـحـكـمـ وـالـاخـتـيـارـ سـيـمـوـتـ. إـنـكـ تـقـولـينـ إـنـكـ تـحـبـيـنـهـ — أـيـتهاـ المـواـطـنـةـ — فـلاـ رـيبـ إـذـنـ أـنـكـ تـكـرـهـيـنـ رـؤـيـتـهـ وـهـوـ يـصـعدـ الـدـرـجـاتـ درـجـاتـ المـقـصـلـةـ، وـهـوـ يـقـعـ فـيـ طـرـيقـهـ جـمـلـةـ مـرـاتـ؛ فـإـنـ الـدـرـجـاتـ تـكـوـنـ زـلـقـةـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـأـحـيـانـ لـكـثـرـةـ الـدـمـاءـ الـتـيـ أـرـيـقـتـ عـلـيـهـاـ، فـإـنـ دـمـاءـهـمـ — أـولـئـكـ الـأـرـسـقـرـاطـيـنـ — لـتـشـبـهـ دـمـاءـ الـخـنـازـيـرـ فـيـ غـزـارـتـهـاـ، إـنـ قـبـلـتـهـاـ — هـذـهـ الـمـقـصـلـةـ — لـهـيـ قـبـلـاتـ حـمـراءـ نـارـيـةـ، أـيـتهاـ المـواـطـنـةـ، وـإـنـيـ أـرـاهـنـ أـنـهـ لـيـفـضـلـ عـلـيـهـاـ شـفـتـيـكـ أـنـتـ ...»

ثم اقترب منها خطوة، وأردف: «وعـلـىـ كـلـ حـالـ، فـهـذـاـ مـاـ سـيـحـدـثـ غـدـاـ ... إـلـاـ إـذـاـ ...» ولكن دـنـيزـ الـقـتـ بـيـدـهـ الـتـيـ مـدـهـ إـلـيـهـاـ بـعـيـداـ عـنـهـاـ، وـقـالـتـ وـهـيـ تـنـظـرـ إـلـيـهـ نـظـرـةـ كـلـهاـ اـحـتـقـارـ: «أـوـتـظـنـ أـنـنـيـ أـبـيـعـ شـرـفـ حـبـيـيـ كـيـ أـشـتـرـيـ حـيـاتـهـ؟ أـوـتـظـنـ أـنـهـ يـقـبـلـ الـحـيـاـةـ بـهـذـاـ

الثمن الذي تطلب؟ حَقًا إنه ليفضل أن يموت ألف ميّة على أن يعرف أنّني بين ذراعيك،
وأنا ...»

وهنا أحمر وجهها خجلًا وهي تقول: «إنّي لأموت خجلًا إذا كنت لأخبره بما تطلب!» وقد حدق روبيسيير فيها وقال: آه! إن الكبriاء كانت دائمًا عيبك الوحيد، أيتها المواطنة، ثم أخذ يفكّر وهو يفتح علبة عطوسه ويغلقها: «إنك تذكرين يومًا من أيام الصيف منذ بضع سنين، حينما رفضت إحدى الأرستقراطيات الجميلات، وكانت تلبس الحرير بخيّلها الموردين كلون الشرائط التي كانت تحلي شعرها — ولاحظي أيتها المواطنة أن لي ذاكرة حسنة — مساعدة غريب رث الثياب مد لها يده ل تستند إليها وهي تنزل من عربتها كي تلّجأ إلى فندق صغير في الطريق. لقد كانت يدك فقط هي التي أردت لمسها حينذاك، ولكن الآن ...»

ثم قال وقد لمعت عيناه تحت حاجبيه: «... الآن أطلب أكثر من يدك!» وحاول مرة أخرى أن يقترب منها، ولكن دنيز ردّته ثانية، ثم قالت وقد أصابها عناء شديد، وتدلّت رأسها على عنقها الأبيض: «إنّي أفضل الموت سريعاً مع جاستون؛ فالفترة التي يموت الإنسان فيها قصيرة، أما الحياة فبطوله جداً، لا دعني أموت معه ...» وهنا علت وجه روبيسيير ابتسامة شر، وقال وكأنه يزمجر: أهذه كلمتك الأخيرة، أيتها المواطنة ...؟

فقالت دنيز بثبات وقد حدقّت بكل شجاعة في عينيه بعينيها الزرقاويتين: «نعم! فصَفَقَ روبيسيير بحدة وقال بخشونة: أيها الحرس، خذوا سجينكم ... وقد خرج حبيب دنيز من الغرفة مسرعًا، ولما وصل إلى الباب انحنى لها تحيّة كما كان معتاداً أن يفعل في الماضي، ثم صاح: الوداع يا دنيز! وقد التقى نظراته بنظراتها لحظة. ثم مدت يديها كأنها تريد أن تمسك بجسمه أيضًا؟ ثم قالت: إن هي إلا فترة قصيرة ثم نلتقي أي جاستون. وكانت لا تزال تبتسم حينما أغلق الباب والتفت إليها روبيسيير قائلاً: «له القبر، أيتها المواطنة، سرير زواج مؤلم مقبض ولا شك.»

ثم قال وقد احتدَ صوته: «أما أنت فإلى الكونسيير جيري^١ تسمعين كل يوم النداءات إلى عربات النقل^٢ المنتظرة للجميع، كل بدوره إلا أنت ...»
فقالت دنيز محتدة: لا؛ فلي أنا هذا ...
ثم وضعت يدها في صدرها، وملع في يدها شيء وهي تخرجه إلى الضوء ...
قفز روبيسيبير وهو يقسم، ويلعن ...
ولكنه كان متأخراً.
فقد سبقت دنيز لكي تنتظر حبيبها!

عن «لويز هيلجرن»

^١ سجن الثورة الفرنسية.

^٢ عربات النقل: ويقصد بها العربات التي تشبه تلك التي تنقل فيها الخضروات من الحقول عندنا. وكانت تستعمل زمن الثورة الفرنسية في نقل المحكوم عليهم بالإعدام من السجن إلى المصلحة.

حلم يوم من أيام الصيف

عن الكاتب الأمريكي الكبير «كيت ريتشاردرز»

من مذكراته ٧ يوليو

وها أنا ذا في مصيف صديق المدرسة «جاك رينولدز»، والحق أنه قصر حديث البناء محاط ببعض مئات الفدادين، تعلوها جبال المين. وقد ودعنتي والدتي وفي نفسها بعض الشك وقالت: «بوب، إني أسمع أن لجاك رينولدز أختاً ساحرة الجمال. وستكونون بلا ريب كثيري العدد، وأمامكم أنواع كثيرة من الملاهي، ولكن يجب أن تذكرة أن أمامكم عملاً شاقاً يجب أن تؤديه، وأن ليس لك من الزمن ما يسمح لك باللهو». والدتي تعلم أنني سريع التأثر، ولكن لا يجب أن تقلق؛ فإن لدى فكرة رواية سأكتبها، وسيكون هذا أنساب مكان لكتابتها. وقد جعلني والد جاك ووالدته أشعر في الحال كأنني في منزلي، وأخبراني أن لدى حرية العمل والدرس، وكذلك حرية اللعب وقت الفراغ.

من مذكراته ٨ يوليو

أخت جاك، واسمها «هيلين»، ساحرة الجمال، لها عينان رماديتان وشعر ذهبي مموج، ولها طريقة خاصة أيضاً حين يحرّر وجهها خجلاً، تغرس الشاب يغير أن يعرف السبب، وإنه عزاء أن يجد الإنسان في هذه الأيام فتاة يمكن أن يحرّر وجهها خجلاً؛ فكلهن يستعملن «الأحمر» بدرجة هائلة بحيث لا يظهر عليهن أثر للخجل حتى ولو خجلن حقاً! هيلين لا تستعمله، ويظهر أنها مهتمة بعملي.

من مذكراتها ٨ يوليوا

حضر صديق جاك واسمه «بوب هرتلي» ليلة أمس، وهو ممثل الجسم حسن الهيئة جميل العينين أسودهما، وهو يعرف أيضًا كيف يستعملهما، وقد كتب رواية لا شك أنها ستنجح، جاك يقول إن المister هرتلي فنان واسع الآمال، جم الأدب. وقد حذرني أن بوب من الشبان الذين يصل حبهم سريعاً إلى القلوب، ولكنه متفرغ لعمله، لا يجب أن يقلق جاك؛ فإن هذا الصنف من الرجال يكون دائمًا محباً لنفسه كثير الغرور، وإذا قدر لي أن أحب أحداً فسيكون من أحبه من غير هؤلاء الذين وقعوا في غرام أنفسهم! وقد غنى ليلة البارحة: «هيا اشربي معى!» له صوت جميل أعجبني، ولكن كان يجب ألا يهتم بعينيه هذا الاهتمام.

من مذكراته ١٠ يوليوا

هنا رهط من الرجال والنساء، لم أكتب كلمة من روايتي؛ إذ يجب على الإنسان أن يستريح بعض الراحة: هنا فتيات جميلات كثیرات، ولكن ليس فيهن من هي أجمل من هيلين أو أكثر رزانة منها.

يمر اليوم في ركوب الخيل ولعب «الجولف» و«التنس»، وبالليل نرقص في «الفراندا» الكبيرة على ضوء القمر. إن هيلين فتاة رياضية عجيبة، لا يصيبها التعب أبداً، ومع ذلك فهي قلماً تتزيّن أو تتبرج، وشعرها طبيعي التبعد، وجسمها من ك أجسام الأطفال، ولها لون بهيج.

من مذكراته ١١ يوليوا

رقصت مع هيلين ليلة أمس أربع مرات، وفي الصباح طلبت منها أن تخرج معى على جوادها فأجابته: «سنركب جميعنا معاً ونذهب للنزهة، وأنت تعلم أنه لا يمكنني أن أهمل ضيوفى.»

إن هذا من المضايقات! قد أنهيت ملخصاً لروايتي فقط، وإنني أعجب إذا كانت توافق على أن تكون إحدى شخصياتها.

من مذكراتها ١٢ يوليو

ركب كل منا — أنا والمستر هرتلي — جواده اليوم؛ فكانت النتيجة أن وقعنا في ورطة، وبينما كنا جمِيعاً على ظهور الخيل بعد ظهر اليوم تأخرت أنا صدفة قليلاً عن الآخرين، فرجع هو إلى وأخبرني أنه اكتشف في الصباح منظراً طبيعياً بدِيعاً جدًا، وأنه يود أن يفرجني عليه الآن.

فناديت رفافي: «تعالوا! إن المستر هرتلي يريد أن يفرجنا على منظر بدِيع». فأظهروا كلهم اشمئزازاً من الطريق الذي كنا سنسلكه، ولكنهم سمحوا لنا عن طيب خاطر أن نذهب منفردین؛ فلوينا عنانِي جوادينا ونحن نودعهم ضاحكين، وكان طريقنا جبلياً وضيقاً، وصاح بنا جاك: «تذكرا أن هذه الطرق غادرة، ولم يبق غير ساعات قليلة على غروب الشمس..».

ولما انفردنا من الوقت سريعاً، ولكنني لاحظت المستر هرتلي بعد برهة وهو ينظر بقلق في ساعته، وظهر لي أن كل ما يحيط بنا كان مناظر لم ألف رؤيتها بالمرة. لقد فقدنا الطريق وضللنا، واقترب الغروب، وحينذاك فقط عثر جوادي ووقع، وقد ارتعبت حين رأيت أنه قد عرج عرجاً شديداً، وأنه كان من الصعب أن أجبره على التقدم، خصوصاً وأن الطريق كان يزداد وعورة، وسرنا في المر وقد أمسك كل منا بعنان جواده، إلى أن وصلنا إلى كوخ صياد، وكان فيه فراشان من القش وبعض أغطية وبعض علب معدنية فيها كبريت، وصحت به: «اللسنا سعداء الحظ؟»

فنظر إلى وهو ساهٍ كأنه قد فقد ذاكرته، فشعرت بالعطاف عليه وقلت له: «أظن أن مسدسك معك، فهل لك أن تسرع لتصطاد شيئاً، فإني جائعة!؟»

ولكي تكون مغامرتنا تامة من جميع الوجوه جمعنا أخشاباً وأوقدنا ناراً كبيرة. ثم اخترق المستر هرتلي ببرهة وعاد إلى ومعه سنجاب معد للطهي وقبعته ملأى بالطير الصغيرة، وقد أتقنا من طهي الصيد قدر استطاعتنا، وكان الظلام قد أرخي سدوله فأوقف بعض الشموع داخل الكوخ، وأخرج لنفسه فراشاً من الفراشين، وتترك لي كل الأغطية، ولم يختص نفسه بغير واحد منها. وقد صمم على إيقاد نار بالقرب من الكوخ. إن الغابة في غاية الهدوء، أسمع صوت حركة الخيل وهي تصهل وكأنها لا تشعر براحة، وصوت النار، وكذا كل ما هنا.

إنني مسرورة لأن لي عادة حمل دفتر المذكرات الصغير في جيبي وكذلك القلم، وإنني مسرورة كذلك لوجود هذه الشموع.

من مذكراتها ١٣ يوليو

لقد أوقعت هذه الفتاة الصغيرة في مأزق حرج؛ كنت أريد أن أتنزه معها منفرداً ونحن على ظهور الخيل، ولذا اصطحبتها إلى أعماق الغابة بحجة أن أفرجها على منظر جميل، وها نحن قد ضللنا الطريق ولا أمل لنا في النجاة، وقد وفقنا إلى كوخ صياد، ولا ريب أن الله هو الذي أرسل إلينا هذا الكوخ؛ إذ يمكننا أن نقضى فيه ليلة مريحة، وسأظل مستيقظاً أكثر الليل وسأوقد ناراً، لا ريب أنني سعيد الحظ لوجود علبة سجائري معي وأنا مسرور لاعتيادي كتابة المذكرات.

من مذكراتها ١٤ يوليو

إذا لم تكن قد انتابتني فكرة والدتي ووالدي، وقلقهم لغيابي؛ لكنني قد نمت ليلاً على أحسن حال، وقد أودينا ناراً كبيرة على أمل أن يراها أحد أو يشم رائحة دخانها على الأقل. إن جوادي المسكين لا يمكنه أن يسير خطوة واحدة. مستر هرتلي يريد أن يذهب منفرداً لاكتشاف الطريق، ولكنني صممت على أن «ثبتت معًا» إلى أن يكشف مقرنا. إنه أعز شاب لدى؛ فهو كثير العطف وكثير الاهتمام بي. وجدها اليوم ينبعو ماء وحصلنا على صيد كثیر. كنت أتمنى أن توجد معي مرآة وبعض المساحيق ...

من مذكراتها ١٤ يوليو

لم يحضر أحد لتخالি�صها بعد، لا ريب أن أهلها سيجنون قلقاً، هي أكثر الفتيات صبراً، بل وأحبهنَّ لدي، سأضعها في روایتي كما هي ...

من مذكراتها ١٥ يوليو

جمعاً البارحة خشبياً كثيراً، وجلسنا لنستريح وقد قص على بوب الكثير عن والدته وحياته من عهد الطفولة، وهو كثير الرغبة في النجاح، وأنا على ثقة من أنه سينجح. وقد راقبنا القمر وهو يصعد فوق الأشجار، وعندما تذكرت المنزل ومن فيه من الأشخاص الأعزاء بدأت في البكاء؛ فأنمسك بوب بيدي، وظللت معه مدة طويلة، ومع أنه لم يتكلم أي كلمة غرام، غير أنني أظن أن كلامنا قد فهم!

من مذكراته ١٥ يوليو

جلسنا البارحة قرب النار، ويظهر أن هيلين كانت حزينة فبكت، وقد أمسكت بيدها حاولت أن أخفف عنها ألماها، كنت أود أن تكون في منزلها تنعم بالراحة حتى يمكنني أن أخبرها كل ما يكفيه قلبي من نحوها، ولكنني على ثقة من أن كلامنا قد فهم.

من مذكراته ١٦ يوليو

تجولنا اليوم قليلاً في هذه الغابة السحرية، وقد جمعنا بعض الأخشاب، وأمسكنا بعض الطيور، وتمتنعنا بالراحة في كل ساعة من ساعات النهار. إذا لم يكن من أجل أهل المنزل لأمكنني أن أمكث هنا دائمًا. كيف يمكنني أن أظن في وقت ما أن بوب شخص محب نفسه كثير الغرور؟ إنه أكثر الناس تفكيراً.

من مذكراته ١٦ يوليو

هذه هي حديقة «أردن». كان الخيام محققاً فيما يقول:

مقامي غصن مظل بقفر ورغيفان مع زجاجة خمر
كل زادي والأهل ديوان شعر
وحبب يهواه قلبي المعنى بشجى يذيبني يتغنى
هكذا أسكن القفار نعيمًا وأرى هذه القصور خراباً

وأنا أوافقه كلَّ الموافقة، ولكن لأجلها هي أرجو أن يجدوا مقرنا اليوم.

من مذكراته ١٧ يوليو

هل هناك أمل في حضورهم؟ بالطبع عندما يكون الشخص عاشقاً لا يهمه أي شيء آخر: الملابس، الأصدقاء، المأكل؛ كل هذه الأشياء لا تهم، كنت أود أن يكون معي ما يمكنني من وضع المساحيق. إنه من حسن حظي أن أجد هذا الدفتر الصغير في جيبي أدون فيه مذكراتي بدلاً من علبة «بودرة» أو أصبع «أحمر». لقد اختلَّ نظام شعري من الهواء، فقدت كل دبابيس الشعر في بحثي عن الخشب، لو كان بوب معه آلة حلاقته فقط!

فإنه مخيف المنظر بهذه الذقن الطويلة الكثة الشعر! ولكن لا بأس بمنظره في ضوء القمر! لقد كرحت أكل الطيور.

من مذكراته ١٧ يوليو

إن عمر كان رياضيًّا قديمًا ولا شك! ولكن بعد قضاء أيام قليلة في هذه «القفار» تراني أعجب إذا لم يكن يفضل الا «رغيفان مع زجاجة خمر» على «حبيب يهواه قلبي المعنى ... بشجي يذيبني يتغنى» أظن أنني لا أفضل شيئاً عن رغيف واحد مع زجاجة فيها أي شيء! هذا إذا أغفلت الحديث عن لفافات التبغ التي لا شك أن عمر قد نسي أن يذكرها، فإني لا أتغنى أبداً في هذه القفار. أما عن الغناء، إيه! آمل أن لا تجرب أن تغني كي تدخل السرور إلى قلبي مرة أخرى، فهي كل مرة تحاول ذلك تشدُّ عن النغم.

لم يتبقَ لنا غير عودين أو ثلاثة من الثقاب، وقد أساءت استعمال النار اليوم، ولما طلبت منها أن تكون أشد حرًّا من ذلك، قالت: إنني غير لطيف العشر، فأخبرتها أن اللطف لا يطهي الطيور. فبكت ودعنتي بفظٍ غليظ القلب، ثم تبع ذلك أن قالت لي: إنني مدين لها باعتذار.

هي فتاة عزيزة، وكانت أود أن ترتب شعرها بطريق ما؛ ففي المنزل كان يظهر أن شعرها أغزر من هذا بكثير، وكانت أظن أنه طبيعي التجدد، وكانت أظن أنها لا تتبرج أو تتزين أبداً، ولكن الآن أود لو تجد وسيلة كي تصنع كل ذلك!

من مذكراته ١٧ يوليو

لماذا لا يحضر والدي؟ إنني لا أجد سبباً، ولن يعلم بوب إلى الأبد أي مجهود أصنع كي أحافظ على ثباتي؟ لقد سئمت من كل شيء، والبارحة أضعت النار كلها هباءً، فقال:

«يا الله! ألا تعلمين أنه لم يتبقَ لنا غير ثلاثة عيدان من الثقاب؟»

وكان فظاً كأحد سكان الكهوف في العصر المتوسط؛ إن له بعض فضائل، ولكنه يسرف في الحديث عن نفسه، وإنني لأعجب إذا كان قد حدث أي حادث في حياته لم يقم بوب هرتي فيه بدور البطل! وقد عملت كل ما في إمكاني كي أدخل السرور إلى قلبه، فالبارحة بعد أن قمت بطهي هذه الطيور الأبدية اجتهدت أن أحفظها في حرارتها إلى

أن يحضر؛ إذ كان قد ذهب لإحضار ماء، ولكنه عندما حضر نظر إليها وقال: «أنا لا أحبها!»

وسأموت جوًّا قبل أن أطهي طيرًا آخر من هذه الطيور، إن له هيئة رجال الفطرة الأولى بهذه الذقن الكثيفة الشعر، كيف يمكن للنساء المتزوجات أن يحتملن أزواجهن إذا كان عليهن أن ينظرن إليهم وهم بذوقنهم الطويلة هذه؟! أو وهم غير مرئي الملابس كذلك، لا يمكنني أن أفكر في شيء تشتمن منه نفسي أكثر من هذا الأمر.

من مذكراته ١٨ يوليو

لا تظهر المرأة على حالتها الطبيعية إلا إذا حصل شجار بينها وبين الرجل تحاول على أثره إصلاح ذات البين. إنني آسف لأنني أحببتها سابقاً؛ فقد كانت تظهر صغيرة لا معين لها. وهذا هو ما حداني إلى ذلك، ولم تكن نظراتها بالمرة، كيف أمكنني أن أظن في وقت ما، إن لونها كان طبيعياً؟! وأنا آمل أن لا أرى مرة أخرى فتاة في لباس ركوب الخيل، كنت أظن أنني أحب اسم «هيلين»، ولكنني أفضّل الآن اسم «جان» البسيط. وعلى كل حال فأنا لا يمكنني أبداً أن آكل هذه الطيور التي لم يتم نضجها على النار.
«يمكننا أن نعيش بغير الحب ...»

«ولكن أين الرجل الذي يمكنه أن يعيش بغير طعام ...؟»

وسمعاً بعد الظهر نباح كلاب وصوت طلقات نارية، وقد ردّ بوب على هذه الطلقات با آخر ما بقي لديه من البارود، وظهر جاك رينولدز والده والقلق بادٍ على وجهيهما يتبعهما نحو سُرُّ رفقاء، وقد أسرعوا جميعاً إليهما وسط مظاهر الفرح: «خمسة أيام في هذه القفار؟! علام عشتما؟!»

فقالت الفتاة الملوثة الملابس: «على لحوم الطير التي ليس عليها ذرة صغيرة من الملح».

واستعد الجميع للرحيل، وتقدم مصور وهو يُخرج آلة التصوير من جيبه: «هل ترغبان أن آخذ لكم منظراً في هذا المكان؟»

فقال الشاب الكُثُر الحية: «لا! لا! إنني لا أرغب في شيء ما سوى ملابس نظيفة وطعام مناسب!»

وقالت الفتاة وقد حَوَّلت نظرها: «وأنا لا أريد أيضاً، أنا لا أريد إلا أن أنسى كل ما كان.»

بولزلوف

عن مكسيم جوركي

قص علي صديق ما يأتني: بينما كنت أدرس في موسكو كنت أعيش في منزل صغير، وكانت جارتي فتاة غريبة، بولندية تدعى تريزا، وكانت طويلة القامة قوية الجسم شقراء اللون، رموش عينيها كثة الشعر، ولها ملامح خشنة لأن الفأس قد عمل فيها، وكانت زائفة البصر عميقه الصوت، لها أطوار المصارع الذي يسعى لنيل جائزه، وكانت ثقيلة وزن الجسم مقتولة العضلات، وكان منظراها العام بشعاً جداً، ولما كانت غرفنا مقابلة لبعضها في الطبقة العليا من المنزل كنت أمتنع بتاتاً عن فتح بابي طالما أعرف أنها موجودة في منزلها، وكانت أقبابها أحياناً على السلم أو في الريده؛ فكانت تتسم لي ابتسامة استخفاف وهزء، وكثيراً ما رأيتها عائدة إلى المنزل وهي حمراء العينين غير مرتبطة الشعر، وإذا ذاك كانت تقابل تحديقي في وجهها بنظره وقحة، ثم تقول بصوتها العميق: ها أنت! أيها الطالب ...

وكنت أشمئز من ضحكتها الغبية، وكانت أفضل أن أنتقل من غرفتي إلى مكان آخر؛ كي لا أقبابها، ولكن المكان كان جميلاً، وكان يُشرف إشرافاً تاماً على المدينة، وكان الشارع هادئاً جداً؛ ولذلك فضلت البقاء.

وفي صباح يوم من الأيام بعد أن لبست ملابسي، وتمددت على فراشي، فتح الباب فجأة، وظهرت تريزا على عتبته، وقالت بصوتها العتيق: ها أنت! أيها الطالب ...
فسألتها: ماذا تريدين؟

ونظرت إليها، وكان على وجهها أثر ارتباك وخجل، وهي أشياء لم أحظها عليها من قبل. فقالت: أيها الطالب! إنني أريد أن أسألك معرفة، وأرجوك لا تخيب رجائي.

وفكرت وأنا على فراشي: إن هذه إلا حجة!

ولكنني لم أقل شيئاً، واستمرت: إنني أريد أن أرسل خطاباً إلى البلدة.

وفكرت: يا للشيطان! إلى أين ينتهي الحال؟

ثم قفرت من السرير، وسحبت مقعداً إلى ناحية المكتب، واستحضرت ورقاً وحبراً،

وقلت: هيا اجلسني وأمليني.

فدخلت وجلست بحذر بعد أن ألقت نظرة حادة إلى عيني، سألتها: والآن من أكتب؟

- إلى بولزليوف كاشبوت الذي يعيش في سوينزيانا في طريق سكة حديد وارسو.

- «ماذا تريدين أن تكتبي له؟ تكلمي..»

- «أي عزيزي بولز: حبيبي، حبي، روحي، فلتحفظك العذراء المباركة! أي عزيزي!

لماذا لم تكتب من مدة طويلة كهذه إلى حمامتك الصغيرة تريزا، التي تشعر بحزن عظيم من جراء ذلك؟»

ولم أتمالك نفسي عن الضحك إلا بصعوبة؛ إذ فكرت في هذه «الحمامة الصغيرة الحزينة» التي تبلغ من الطول ستة أقدام، وهي قوية الجسم، لها عضلات الرجل الرياضي المدرب، ووجه أسود مجهم، لأن «الحمامة» ليس لها من عمل سوى تنظيف المداخل.

ولكني حافظت على ثبات وجهي، وسألتها: من هو بولزليوف؟

فأجابت وقد علت وجهها آثار الدهشة، لأنها لا تتصور أن هناك أحداً لا يعرف

بولزليوف.

- بولز، يا سيدي ... بولز هو خطيبي.

- خطيبك؟!

قالت: لماذا تعجب أيها الطالب؟! لا يجوز أن يكون لفتاة صغيرة مثل حبيب؟

فتاة صغيرة، أي فكاهة تلك؟!

فقلت: من الجائز، كل شيء جائز الواقع، كم مضى من الوقت منذ خطبتك؟

- عشر سنوات.

حسناً، كتبت لها الخطاب، وكان ممتلئاً بالحب والعاطفة، حتى إنني كنت أحب أن

أكون مكان بولزليوف، إذا كان الخطاب يصلني من أحد غير تريزا.

وقالت تريزا وقد ظهر أنها قد تأثّرت تأثّرًا كبيراً: شكرًا لك من كل قلبي، أيها

الطالب، هل يمكن أن أؤدي لك أي خدمة؟

- لا شكرًا.

- يمكنني أن أصلاح لك قمصانك وملابسك، أيها الطالب.
وقد اغتثت من كلامها، وأكَّدت لها باختصار أنني لا أحتاج لخدماتها، ولذلك
تركتهن خرجت.

ومر أسبوعان، وبينما كنت جالسًا إلى الشباك ذات مساء وأنا أصفر وأبحث عما
يمكنني عمله كي أسلِي نفسي؛ إذ كان الجو رديئاً في الخارج، ولم أكن ميالاً للخروج؛
فتح الباب فجأة وفكتْ: يا للسماء! يظهر أن زائراً قد حضر ...

- أيها الطالب، هل أنت مشغول جدًا الآن؟

وكانت تريزا! حسناً، لقد كنت أفضل أن يكون شخصاً آخر.

- لا، ولماذا؟

- أريد أن تكتب لي خطاباً آخر.

- حسناً! لبولز.

- لا، أنا أريد رده.

فتساءلت مدهشة: ماذا تقولين؟!

- عذرًا أيها الطالب، إني حمقاء ... لم أوضح لك نفسي، إن الخطاب ليس لي، ولكنه
لأحد أصدقائي، بل معارفي فقط، وهو لا يعرف الكتابة ... وله خطيبة مثلي أنا.
نظرت إليها فخجلت، وارتجمت يداها وظهر عليها الارتباك، وظننتُ أنني فهمت
فقلت: أصغي إليَّ يا فتاتي، إن كل ما تذكرينه لي عن نفسك وعن بولزلوف ... إلى آخره،
كل هذا ليس إلا خيالاً محضًا، إنك تكذبين، إن هو إلا عذر تختلقينه كي تحضري إلى
هذا، إيني لا أريد أن أتَّصل بك بعد الآن، هل تفهمين؟
ورأيت أنها قد ارتتعبت واحمرَّ وجهها خجلًا، وجاهاست كي تقول شيئاً، وبدأت
أشعر أنني قد ظلمتها؛ فهي بعد كل هذا لم تأتِ بفكرة أن تجعلني أحيد عن طريق
الفضيلة، إن هناك شيئاً وراء هذا، فما هو؟
...
وبدأت: أيها الطالب

ولكنها تحولت بحركة فجائحة، وخرجت من الغرفة.

وبقيت وفي قلبي شعور بعدم الراحة، وسمعتها تُغلق بابها بحدة، وأحدثت صوتاً
عالياً، لقد كانت غضبية، وفكتْ لحظة، ثم صممت على دعوتها ثانية، وسألت لها
الخطاب، لقد شعرت بالشفقة عليها.

ذهبت إلى غرفتها وكانت جالسة إلى مائتها ورأيها بين يديها، قلت: يا فتاتي،
أنت ...

وإذا وصلت إلى هذه النقطة من قصتي أشعر بتأثير عميق؛ لقد قفزت وسارت إلى تواً، وكانت مضيئة العينين، وألقت بذراعيها على كتفي، وأخذت تشهمق بالبكاء لأن رزحًا على قلبها: أي ... أي ... فرق ... يحصل لك ... إذا ... كتبت ... هذه ... الأسطر ... القليلة؟ آه ... لقد ... كان ... يظهر ... أنه ... شاب ... كثير ... الطيبة! نعم ... ليس هناك ... بولزلوف ... ولا ... تريزا ... هناك أنا ... أنا فقط!

فقلت وأنا في منتهى الحيرة: ماذا تقولين؟ أليس هناك بولز بالمرة؟

- لا!

- ولا تريزا.

- لا ... ولكن، أنا تريزا!

أصابني دوار، ونظرت إليها مستغرباً، لقد كان أحدها مجنوناً بلا ريب، ثم رجعت إلى المائدة، وفتشت في درجها، وأحضرت لي قطعة ورق.

وقالت وهي تعود إلى هنا، هنا، خذ هذا الخطاب الذي كتبته لي، إنك لا تريد أن تكتب لي خطاباً آخر، وسيقوم بأداء هذا أناس لهم قلوب أرقُ من قلبك.

وأهدت في يدها الخطاب الذي كنت قد كتبته لها لترسله إلى بولزلوف، وماذا كانت تعني؟

وقلت: أصغي إلى يا تريزا، ما هذا؟ لماذا تريدين أن يكتب لك أشخاص آخرون خطابات مع أنه لم ترسلني هذا؟

- ومن أرسله؟

- بالطبع إلى بولزلوف، خطيبك!

- ولكن هذا الشخص غير موجود بالمرة.

وأخيراً يئست، وكل ما كان يمكنني عمله هو أن أذهب، ولكنها تابعت ثانية: «لا، إنه ليس موجوداً، ليس هناك بولزلوف.»

قالت ذلك بحركة تبين أن الإيضاح كان مستحيلاً ... واستمرت: ولكنني أريد أن أعيش، إني أعلم أنني لست مثل الآخريات - أنا أعلم ما أنا - ولكن لا يضر أي إنسان أن يكتب لي ...

- ماذا تعنين؟ يكتب من؟

- بالطبع، إلى بولزلوف.

فأعترضت وأنا لا أزال مرتبكاً: ولكنك أخبرتني الآن أن هذا الشخص ليس موجوداً.
- أوه! يا والدة الإله! وماذا يهمني إذا كان غير موجود؟ ليس هناك أحد، ولكنني
أتخيّل أن هناك «بولزلوف»، لقد كتبت إليه كما لو كان شخصاً حقيقياً موجوداً، وهو
يرد على، وأنا أكتب له ثانية، وهو يرد وبالتالي ...

وفهمت أخيراً وشعرت أنني مجرم، وخجلت من نفسي، وأصابني ألم كأنه ألم
جسمي. بجانبي، على قيد ذراع مني، توجد مخلوقة مسكونة ليس لها شخص واحد
يُظهر لها أقل عطف أو محبة، لا والدان، لا أصدقاء، ولا شيء! وقد اخترت هذه المخلوقة
المسكونة لنفسها حبيباً وزوجاً.

واستمرت تتحدى بصوتها العميق الذي يجري على وتيرة واحدة: إن هذا الخطاب
الذي كتبته لي إلى بولزلوف، طلبت من شخص آخر أن يقرأه لي بصوت عالي، وأصغيت
حتى خيل إلى أن بولزلوف كان حياً! وبعد ذلك طلبت رداً من بولز إلى تريزا ... إلى
أنا. إنني أكادأشعر شعوراً صادقاً أن بولزلوف هي في جهة ما، لا أعرف أين هي؟
ولذلك يمكنني أن أعيش أنا أيضاً، فعلى الأقل لن تكون الحياة قاسية هائلة ومنفردة!
حسناً، من ذاك اليوم بدأت أكتب خطابين بنظام كل أسبوع، من تريزا إلى بولز،
ومن بولز إلى تريزا. وإنني أقسم لك أنها كانت ممثلة بالعاطفة، وخصوصاً الردود.
وهي، إنها كانت تصفي للقراءة وهي تشهق وتضحك، وكانت سعيدة، وجاء
خدمتي كانت تُعني بملابسها، وتصلح لي قمصانها وجواربها، وتنظّف قبعتي.
وبعد ثلاثة أشهر قبض عليها لشبهة حامت حولها، وأودعت السجن، ولم أرها أبداً
بعد ذلك.

يجب أن تكون قد ماتت!

عن «مكسيم جوركى»

هدية الموت

عن أناتول فرانس

بعد أن تجول «أندريه» مدة في الشوارع الخاوية، جلس إلى شاطئ السين يراقب الماء وهو يصادم التلال، حيث عاشت حبيبته لوسي أيام السعادة والأمل.

وجلس مدة طويلة في حالة قلق، وعند الساعة الثامنة استحمَّ، ثم دخل إلى مطعم بالقرب من «الباليه روبيال»، وبينما كان ينتظر الطعام تصفَّح الجرائد،قرأ في: «بريد المساواة» كشفاً بأسماء الأشخاص الذين سيُعدمو في: «ميدان الثورة» يوم ٢٤ فلورি�ال. وتناول الطعام بشهية، ثم قام ونظر في المرأة ليرى إذا كان مرتب الملابس ومنبسط الأسaris؛ ومن ثم سار بخطى متثاقلة ناحية النهر إلى منزل في زاوية السين وشارع مازارين. وهناك كان يعيش المواطن لرييون «النائب العام في محكمة الثورة، وهو رجل كريم عرف بخدمة أصدقائه، عرفه أندريه في أنجرز كراهب من رهبان الكبوشان. أما الآن فهو جمهوري متطرف في باريس.

دق الجرس، وبعد بعض دقائق ظهر وجه خلف الباب، وأطلَّ من كوة في الحائط. وبعد أن تأكَّد المواطن لرييون من وجه واسم ضيفه فتح الباب أخيراً. وكان له وجه سمين أحمر اللون وعينان لامعتان وفم كبير وأذنان حمراوان، وكان له وجه الرجل الضحوك ولكن هيئة الجبان. وقد أدخل أندريه إلى أولى غرف المنزل.

وكان موضوعاً فوق مائدة مستديرة طعام قد أُعدَّ لشخصين، ورأى أندريه دجاجة وفطيرة وفخذة لحم وطبق (فواجا)، وأصنافاً من اللحوم الباردة. وعلى أرض الغرفة كانت هناك ست زجاجات خمر موضوعة داخل دلو كي تبرد، وعلى المدفأ كان هناك

التفاح والجبن والفاكهه المحفوظة. وعلى أحد الأدراج وضعت زجاجات من المشروبات فوق أكواام الورق. وكان باب الغرفة المقابلة مفتوحاً، وكان فيها سرير غير مرتب. قال أندرية: أيها المواطن لريدين، قد أتيت أسألك معرفةً.

- أيها المواطن، إني على استعداد لمنحه إذا لم يكن على حساب سلامة الجمهورية. فقال أندرية بابتسامة: إن ما أطلبه من المعروف يتتحقق تماماً مع سلامة الجمهورية، وسلامتك أيضاً.

وجلس أندرية بإشارة من لريدين وقال: أيها المواطن النائب، أنت تعرف أني منذ سنين أتأمر على أصدقائك، وتعرف أني مؤلف «مذبح الخوف»؛ ولذلك لن تخدمني إذا قبضت عليّ، بل إنك تؤدي واجبك فقط؛ ولذا ليس هذا هو المعروف الذي أطلبه منك، ولكن أصح إلى: إبني أحاب وحبيبي في السجن. وأحنى لريدين رأسه دلالة على أنه يقدر تلك العاطفة.

- إبني أعرف أنك رجل عواطف، أيها المواطن لريدين، وإنني أرجوك أن تجمع شملي بمن أحب، فترسل بي إلى سجن «البورت ليبر».

فقال لريدين وقد ظهرت الابتسامة على شفتيه، ابتسامة دهاء وثبات: ها! ها! إنك تطلب ما هو أثمن من الحياة، أيها المواطن، أنت تطلب السعادة! ثم أشار بذراعه إلى ناحية غرفة النوم ونادي: «أبيكاريس! ... أبيكاريس!»

وظهرت امرأة طويلة القامة شعرها حalk السواد، عارية الرقبة والذراعين، تلبس قميصاً، وقد وضعت زهرة على رأسها، قال لريدين وهو يجذبها إلى ركبتيه: أي حوريتي! انظري إلى وجه هذا المواطن ولا تنسيه أبداً، هو مثلنا، أي أبيكاريس، له عواطف نبيلة، هو مثلنا يرى أن الفراق هو أشـق أنواع العذاب والشروع، هو يرغب أن يذهب إلى السجن بل إلى المفصلة أيضاً مع حبيبته، أبيكاريس! هل لنا أن لا نؤدي له هذا المعروف؟

فقالت الفتاة وهي تداعب خد قسيس الثورة: لا.

- لقد أصبت الجواب يا إلهتي، يجب أن نساعد هذين المخلصين. أيها المواطن أندرية جرمان، اترك لي عنوانك، وستنام الليلة في السجن ...

قال أندرية: لقد اتفقنا إذن؟

فأجابه لريدين وهو يمد إليه يده: نعم قد اتفقنا، اذهب وقابل حبيبتك وأخبرها أنك رأيت أبيكاريس بين يدي لريدين، ولتحدث هذه الصورة اضطرااماً في قلبيكما نحو أفكار براقة!

فأجاب أندريه أنها ربما وجدا صوراً أشد تأثيراً من هذه، ولكنه مبتهج على أي حال، ويأسف لأن ليس له أن يأمل بأنه سيؤدي له أية خدمة رداً على خدمته هذه. فقال لرديون: إن الإنسانية لا تطلب جزاء ولا شكوراً.

ثم قام وأردف وقد ضم أبيكاريس إلى قلبه: من يعلم متى يأتي دورنا؟ ولكن الآن فلنشرب أيها المواطن، هل لك أن تشاركتنا في الطعام؟ وقد حبّدت أبيكاريس الفكرة، وأمسكت أندريه من ذراعه، ولكنه مَرَقَ منها وهو يحمل وعد النائب العام.

قصص عن الكاتب الفرنسي الكبير
مارسيل بريفو

الوَحْم

تزوج المسيو شربونيل — وكيل باريز ل محلات شوفيه تجار الشمبانيا — وهو في سن الخمسين، فتاة من بنات أحد زبائنه تدعى «كليمنس روبيه»، وكانت غضة الشباب، موردة الوجنتين، شقراء الشعر، وكان كل ذلك مما جذب إليها المسيو شربونيل، وأصبح عقب زواجه تَّوَّا سعيداً جدًّا، إذ إن كليمنس ملأت المسكن الموحش لهذا العازب ضوءاً وحياة بخفة ورشاقتها وحبورها. وقد أظهرت لزوجها — رغم أنه كان يكبرها سنًا — أعظم الحب وكل الميل، وكانا يشتراكان في كثير، فمن مزاج متعدد، إلى طبع متواقة، كانوا يحبان أكل اللحم ولعب الورق منفردين، وحضور التمثيل والذهاب إلى الملاعب.

وكان من عاداتهما أنهما إذا بدأ قراءة أجمل الروايات المسلاسل التي تنشرها الجرائد السيارة، غالب عليهما النعاس. وقصاري القول أنه رغمًا عن تفاوت عمريهما كان يظهر على كليمنس أنها على استعداد تمام لأن تؤدي واجباتها، بل كانت تؤديها بسرور تمام. ولم تكن من الالاتي يطالبن أزواجهن بكماليات مفاجئة. ربما ضايفت المسيو شربونيل، وما مرَّ على زواجهما أكثر من سنة حتى فاجأت كليمنس زوجها بأن أسرت إليه أمراً، ذكرته وعلى وجنتها حمرة الخجل، فإذا ظهرت عليها آثار توجهت منفردة إلى صديق قديم لأبيها هو «الدكتور تيريسلين»، وكان يدير مصحًّا في شارع سان جورج، وبعد أن فحصها الدكتور قال لها وهو يداعبها بوضع يده على خدها: ارجعني إلى منزلك يا صغيرتي كليمنس، وبشيء زوجك بخبر سار، وهو أنك حبلى في الشهر الثاني.

وإن السمنة التي ظهرت على جسمها ملأت قلب شربونيل سرورًا وفخرًا، ولكن تلك السمنة عينها أقلقت معيشة الزوجين؛ ففي الشهر الرابع حين بدأ الجنين يتحرك في بطن كليمنس، بدأ خلقهما في الاختلاف وعاداتهما في التباين؛ فأصبحت كليمنس كثيرة السأم، ذات مزاج غريب، ففي ساعات ضحكتها تنقلب فجأة باكية، ومن الإغراء في المحادثة

إلى السكوت المطلق، وكرهت أنواع الطعام التي كانت تفضلها على غيرها، وأصبحت تُصاب بنبوات فتللزم غرفتها مدة أسبوع، وبينما كنت تراها ساكنة إذا بها تنقلب فجأة؛ فتصبح كثيرة الحركة والحديث تريد الخروج للذهاب إلى الملاهي!

وكان المسيو شربونييل متاثرًا في خضوع وخنوع، وهو يجيب كلَّ ما يطلبه مزاجها، وكان يحدث نفسه: «إنْ ذلك إلَّا أمر مؤقت، بعد قليل يمر ... ومع ذلك فأنا أتحمَّل كلَّ ذلك من أجل فرنسو!» وكان هذا هو الاسم الذي اتفق عليه الزوجان للجنين الذي ستلده كليمنس، ورجع المسيو شربونييل ذات مساء في شهر ديسمبر وحاطب زوجه: «ارتدي ملابسك بعد العشاء كي تتجوَّه إلى «السرك» للتفرج على جمز جمز مرود الببغاء؛ إذ يظهر أنَّ ذلك الرجل غير عادي.» فصفقت كليمنس لهذا الخبر، وكانت هادئة الخلق تلك الليلة في رزانتها وسكونها قبل سمنتها، وكانت شديدة الرغبة في رؤية جمز جمز هذا؛ إذ كانت قد رأت صورته الملونة وهو جالس على «العقلة» في لباس أسود ملتصق بجسمه كلباس البحر، وعلى ذراعه الممدود إلى الأمام عدد كبير من طير الببغاء، وكانت هناك إشاعة أنه غني، وأنَّ سيدة إنكلiziّة عظيمة تُنفِّق عليه، وقد رافقته إلى باريز.

وفي تلك الليلة — كما كان في الليالي السالفة — نال جمز جمز نجاحًا عظيمًا كنجاح مرود الثيران الإسبانية، وكان وجهه جميلًا جدًّا، يتدلَّل شعره على جبهته، ويكشف لباسه الأسود الملتصق بجسمه عن جسم قوي، وذراعين مفتولين أشبه بأذرع التماثيل. أما النساء فكنَّ يُعجبنَ بمنظره ويصفقُن تصفيقاً حادًّا عندما يقوم بإحدى حركاته! ولما أن رجعا إلى منزلهما سأل شربونييل زوجه في تؤدة: لا ريب أنك سرت من ذلك يا كليمنس؟

فردَت عليه ببرود: نعم، قليلاً ...

ولم يَقُرْ منها بأكثر من ذلك، وقد تغيَّرت من السرور إلى الغضب، وعادت إلى الخلق الثانية، ولما أراد زوجها أن يداعبها قليلاً رفضت غاضبة، فنام حزين القلب في خضوع أيضاً، وفكَر أن الصبر أفضل؛ إذ يجب الصبر من أجل فرنسو!

وفي اليوم التالي قامت كليمنس هادئة الخلق، مسرورة، وغنت وهي تلبس ملابسها، وقبلت زوجها في عنقه وهي تتضع له ياقته، ونظفت له الحذاء بنفسها، وأعدت له طعاماً يحبه.

ولما تركها نحو الساعة الواحدة بعد الظهر للذهاب إلى محل عمله وضعت له على ملابسه رداءً من الصوف وهي تعلن أنَّ البرد شديد جدًّا وهي لا تريد أن يصاد زوجها الصغير بزكام!

وفي الشارع لحظها وهي في الشرفة، وهي تُرسل له قبلات في الهواء، واستمر الجو حسناً طول اليوم، وطول المساء إلى اللحظة التي وجد فيها الزوجان جنباً إلى جنب في سيرهما، وهنا أمسكت كليمنس برأس زوجها الكبير في يديها الصغيرتين، وامتدت بفمها إلى أن وصلت إلى أذنه ودمدمت: لي حاجة أطلبها منك يا عزيزي ...

فامتلاً قلب شربونيل سروراً وأجابها: اطلب كل ما تريدين، يا قطتي الصغيرة!
- إنها حاجة لا يسهل الإفشاء بها!

- اذكرها ... تشجعي ...

- دعني أطفئ الشمعة؛ فأنا لا أجسر مطلقاً على طلب حاجتي هذه طالما كان الضوء منتشرًا.

ولما أطفئت الشمعة استمررت كليمنس: أنت تعرف جمز جمز، رجل الببغاء جيداً؟

- نعم ... حسناً، هل تريدين أن تذهبين لرؤيتك مرة ثانية؟

- لا ... ولكن أريد أن أقول: نعم ... ولكن ليس في الملعب ...!

وبدأ شربونيل في الضحك، وتحدثت كليمنس غاضبة: لا أريد أن تضحك ... إن المسألة جدية، إن لدي «وحm»، وهي رغبة قوية، وإذا لم تفعل ما أريد ... حسناً، إن امرأتك الصغيرة تموت والطفل أيضًا بالطبع!

ضم شربونيل كليمنس بين ذراعيه وقبّلها بعطف وقال لها: إني أفعل كل ما يمكنني
كي أوقفك يا قطتي! وأنت تعلمين ذلك، ولكن صرّحي!
وحيثئذ أسرت كليمنس، وقد التصقت بزوجها في أذنه: أريد أن أرى هذا الرجل وهو عاري عن الملابس.

ثم أخذت وجهها على رقبة شربونيل، وصاح شربونيل برعبر: ترينـه وهو عاري عن ملابسـه؟! لا ريب أنـك قد جـنتـ، ولكن ماذا تـقصـدـينـ أولاً؟ هل تـرغـبـينـ في رؤـيـتهـ وهو بلباسـ الـبـحـرـ كما رأـيـتهـ فيـ الـيـومـ السـابـقـ؟

فقالـتـ كـليمـنسـ مؤـكـدةـ: لاـ، بـدونـ لـباسـ الـبـحـرـ ... بـدونـ أيـ شـيءـ!
فـقالـ شـربـونـيلـ: أيـ عـارـ تماماًـ!

ولـماـ اـسـتـقـرـ قـرـارـهـاـ قـالـتـ: انـظـرـ إـلـيـ ... يـجـبـ أـنـ أـرـىـ هـذـاـ الرـجـلـ بـهـذـهـ الـهـيـةـ منـ أـجـلـ فـرـنسـواـ؛ فالـبـارـحةـ عـنـدـمـاـ ظـهـرـ فـيـ الـمـلـعـبـ وـهـوـ متـشـحـ بـالـسـوـادـ أـثـرـ ذـلـكـ فـيـ قـلـبيـ وـصـدـمـنـيـ صـدـمـةـ قـاسـيـةـ ... وـشـعـرـتـ بـالـطـفـلـ يـتـحـركـ، وـكـأنـهـ غـيرـ مـرـتـاحـ ... وـمـنـ ذـلـكـ الـوقـتـ وـأـنـاـ أـرـىـ أـمـامـيـ دـائـمـاـ شـبـحـاـ أـسـوـدـ يـتـشـحـ بـلـبـاسـ أـسـوـدـ كـلـبـاسـ الـبـحـرـ، فـإـذـاـ لـمـ تـجـبـنـيـ إـلـىـ مـاـ أـطـلـبـ

سيكون لك ابن أسود زنجي، بل أسود من زنجي! مع أنني أرى أن المسيو جمز جمز مثل الرجال الآخرين أبيض الوجه، جميل الشكل ... والآن! إن فرانسوا سيكون طفلاً جميلاً أبيض الوجه مثله، وهذا كل ما في الأمر!

وعبئاً عارض شربونيل، وعيثاً حاول أن يؤثر على امرأته و يجعلها تعتقد أنها تطلب أمراً إدعاً مخالفًا للصواب، وأنه حتى إذا وافق هو — شربونيل — فإنه يجب الحصول فوق هذا على موافقة جمز جمز نفسه الذي سيظن أنه يحادث بعض المجانين عندما يطلب منه أن يظهر عاري الجسد أمام سيدة!

عيثاً ثار شربونيل، وعيثاً حاول أن يُرجع كليمنس إلى صوابها، وعيثاً هددتها؛ فقد كانت مصراً على الوصول إلى غرضها، وكانت تكرر دائمًا: أريد أن أرى هذا الرجل وهو عار!

وانتهى بها الأمر أن أصابتها نوبة عصبية، فكانت تصيح وت بكى وتهذى أحياناً، ولم يجد تاجر الشمبانيا وسيلة لتهذتها غير أن يعدها بما تطلب، وعندئذ نامت من فرط تعبها.

وكان شربونيل يأمل أن تكون رغبتها هذه قد انتهت في الغد، ولكن لم تكن كليمنس تستيقظ حتى قالت بسكون: أنت تعلم أنك وعدتني ... ستذهب عند مسيو جمز جمز في الحال، وإلاً فسوف أصاب بنوبة بعد ظهر اليوم وألد طفلاً ميتاً. كذا!

ولم يقاوم شربونيل، فلبس ملابسه وتزيّن، وشييعته هي بهذه الوصية: أسرع! لن أقدم لك طعام الإفطار إذا لم تأتني معك بالجواب عند رجوعك.

ورجع بعد ساعة، وكانت كليمنس تنتظره عند الباب، فقالت له: ما وراءك؟ فقال الزوج: أصح إللي، إني لم أذهب عند هذا المدعو جمز جمز، فإنه بلا ريب كان يطردني شرّ طردة، ولكنني ذهبت عند الدكتور تيريسلين في عيادته التي يعالج فيها المرضى بواسطة الماء البارد، واستشترته في حالي، وهو يعرف حق المعرفة، وقد أخبرني حقاً أنه من الخطر معارضتك في حالتك هذه.

قالت كليمنس: ها قد رأيت صحة حديثي!

— لا تقاطعني؛ فإنه بالرغم من حسن قصدنا كان يجب أن يرفض طلبك، لولا مصادفة غريبة أرسلها الله؛ فإنك تعرفي أنني لم أكن لأوافق بالمرة أن يعرف هذا الرجل جمز جمز برغبتك. أما المصادفة الربانية فهي أن جمز جمز يأخذ حماماً بالماء البارد كل صباح حوالي الساعة العاشرة عند الدكتور تيريسلين، وهو الذي يعطيه هذا الحمام، وعلى

ذلك سندذهب غدًا أنا وأنت إلى عيادة المعالجة بماء البارد قبل الساعة العاشرة، وسيخبرك تيرسلين بالقرب من الحمام في حبرة داخلية غير ظاهرة يخفى بها ستار ويفتح أحد أبوابها إلى مكتب الدكتور، فيمكنك أن تزيحي الستار لتتفرجي على كل ما تريدين رؤيته، والآن إذا كان الأمر لا يهمك فإننا سنكتُ الحديث حول هذه الحماقة ...
وارتمت كليمنس على عنق زوجها تقبّله بكل حرارة وهي تقول: إني أعبدك! إني أعبدك! سترى كم يكون جميلاً ابنك!

وقد أظهرت طول باقي اليوم شعوراً هادئاً رقيقًا. أما شربونيل فكانت عليه ملامح التفكير، وكان يشعر ببعض الحزن كشعور الرجل الذي يؤدي تضحية مؤلمة بداعف الحب.

وفي اليوم التالي أخذت الحوادث مجرها كما اتفق الزوج والدكتور بطريق روعي فيه الحب البريء الذي كان يشعر به الرجل نحو زوجه وواجب صيانته لها من الجهة الأخرى. وصل آل شربونيل عند الدكتور تيرسلين حوالي الساعة التاسعة والنصف بحجة زيارة البناء، وتقرّجا على كل جزء من العيادة؛ ومن ثمّ لما أزفت الساعة العاشرة قال الطبيب: لدى مريض يأخذ حماماً في الساعة العاشرة تماماً، فهل لكما أن تنتظرانى لحظة في مكتب عملِي، وسألحق بكم بعد برهة.

ثم قادهما إلى غرفة المكتب وتركهما، وكان فيها باب يفتح على غرفة صغيرة مظلمة يفصلها عن غرفة الاستحمام ستار يمكن رؤية الحمام بكل جلاء من بين ثنياه، وبدون أن يكتشف أحد وجودهما.

وكانت كليمنس هادئة جداً وراضية، ونظرت من الركن الأيسر للستار، وأخرج شربونيل رأسه من الركن الأيمن.

وكان عنده شعور خاطئ، هو أن اهتمام أمرأته بالنظر سيكون أقل تأججاً حتىّ ما دامت تعلم أنه ينظر معها في نفس الوقت ما تنظر هي. وبعد بُرْهَة دخل رجل مؤتزد بمئزر الحمام، وكان جمز جمز، وتحادث برهة مع الدكتور ثم رمى بالملّزر للخادم وبسط يديه على جسمه العاري، وعرّض بطنه للماء البارد الذي كان موجهاً إليه، وكان شربونيل ينظر لهذه العملية من وراء الستار وهو يشعر بالسرور رغم أنفه، وظهر له الرجل الرياضي بمظهر الرجل المتين التركيب، ظهر له أنه عريض الأكتاف أثقل وزناً في مظهره هذا منه إذا رُئيَ وعليه لباس اللعب الخاص.

وكان غير عادي في شيء واحد هو أن كل جسمه كان مغطى بالشعر الكثيف، فكان الشعر تحت إبطيه وعلى نهديه وبطنه، واستمر الحمام عدة ثوانٍ فقط، وعندما أدار

تاجر الشمبانيا رأسه لم يجد امرأته بجانبه، وكذلك لم تكن في الغرفة، وكانت الزوجة قد فتحت الباب ودخلت إلى مكتب الدكتور، وعندما دخل زوجها وجدها جالسة على المعدة تفگر، فقال لها ببعض أسف: والآن هل أنت راضية؟ هل تفرجت على ما كنت تريدينرؤيتها؟

فهزت رأسها وقالت: لا، لم أمكث إلا لحظة قصيرة، لم يك الرجل يخل رداءه حتى انصرفت.

فسألها شربونيل: ولماذا؟

فعبس وجهها: إنه مثل المجرمين، فجسمه مغطى كله بالشعر، له هيئة القردة، ولذا فكرت في الطفل وقلت: «ماذا أصنع إذا جاء طفلي كهذا!» ولذا أسفلت الستار وفررت بنفسي إلى هنا، بينما بقيت أنت تتفرج، وأنت تعرف أنني لا أريد أن يكون فرنساوا شبيهًا بقرد.

وأضافت بعد برهة بكل سكون: إنني أفضل له عن ذلك أن يكون شبيهًا بزنجي!

عن «مارسيل بريفو»

الضيف

(١)

إلى السيد القس بينيه، ٨ شارع أزاس، باريـز

أسرع بكتابة هذه الكلمة الصغيرة إليك، وأنا أسرها إليك يا عزيزي الأـب، وإن قلبي — قلب الأم السعيدة — لا يرحب بالانتظار مدة أربعة الأيام التي تفصلنا إلى حين رجوعنا إلى باريـز؛ كي أبشرك بالأـخبار السارة، وأنا لا أظن أن شيئاً من هذا سيـتم قبل نهاية الشـتاء حين تكون ابنيـي الصغـيرـةـ، قد أصبحـتـ ربة دارـ بـفضلـكمـ، وفيـ حالـ تحـسدـ علىـهاـ.

وكم أناـ مدـينةـ لكـ لـمسـاعـديـ، فـأـنـاـ عـديـمـةـ الـخـبـرـةـ، وـفـيـ عـزـلـتـيـ هـذـهـ، إـنـ أـرـملـةـ يـكـبرـ أـولـادـهـاـ يـوـمـاـ عـنـ يـوـمـ لـتـتـبـيـنـ أـنـ يـجـبـ، كـيـ تـسـدـ خـطـاـهـمـ الـأـوـلـىـ خـارـجـ العـائـلـةـ — أـنـ تـكـونـ لـهـاـ سـلـطـةـ أـكـبـرـ مـنـ سـلـطـتـيـ، وـخـبـرـةـ أـوـسـعـ مـنـ خـبـرـتـيـ، وـالـأـبـنـاءـ الـذـكـورـ يـمـكـنـ تـقـيـيـدـهـمـ بـالـكـلـيـاتـ أـوـلـاـ ثـمـ بـالـمـدـارـسـ الـعـلـيـاـ ... فـمـسـتـقـبـلـ مـوـرـيـسـ لـاـ يـقـلـقـنـيـ نـصـفـ مـاـ يـقـلـقـنـيـ مـسـتـقـبـلـ أـخـتهـ.

والآنـ، وـقـدـ اـنـتـهـتـ التـجـرـيـةـ، وـانـتـهـتـ بـالـنـجـاحـ مـعـ حـسـنـ الـحـظـ، لـيـ اـعـتـرـافـ أـسـرـهـ إـلـيـكـ، لـقـدـ شـكـكـتـ لـحـظـةـ فيـ قـيـمةـ هـذـهـ الفـرـصـةـ، وـلـوـلـاـ كـلـ الـاحـتـرـامـ الـذـيـ أـشـعـرـ بـهـ لـقـدـ اـسـتـكـمـ لـمـاـ أـمـكـنـ إـقـنـاعـيـ، فـلـمـ أـكـنـ أـقـبـلـ بـالـمـرـةـ أـنـ نـضـمـ فيـ سـلـكـ حـيـاتـنـاـ بـالـرـيفـ، شـابـاـ لـاـ نـعـرـفـ عـنـهـ إـلـاـ القـلـيلـ مـثـلـ «ـالـمـسـيـوـ دـيـ مـونـتـيـفـريـ»ـ لـوـ لـمـ تـكـنـ أـنـتـ الـذـيـ قـدـمـتـهـ لـنـاـ، وـكـنـتـ أـخـشـيـ أـنـ يـحـدـثـ حـضـورـهـ تـأـثـيرـاـ سـيـئـاـ بـيـنـ الـجـيـرانـ، فـإـنـ رـابـطـةـ الـجـوـارـ لـاـ تـمـنـعـ النـاسـ مـنـ التـحدـثـ بـمـثـالـبـ جـيـرانـهـ، وـالـتـقـولـ عـلـيـهـمـ، وـكـنـتـ أـقـولـ فيـ نـفـسـيـ: «ـمـحـالـ أـنـ يـكـونـ مـنـ السـهـلـ أـنـ يـصـبـحـ هـذـاـ الشـابـ — وـهـوـ فيـ السـابـعـةـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ سـنـهـ — صـدـيقـاـ لـمـوـرـيـسـ الـصـغـيرـ الـذـيـ لـاـ تـهـمـهـ غـيـرـ عـلـومـهـ، حـتـىـ ...ـ وـكـنـتـ قـدـ أـسـرـتـ إـلـيـ قـائـلاـ: «ـأـنـ أـتـحـمـلـ كـلـ تـبـعـةـ!ـ»ـ

ولما كنت أنت الذي أحضرت مسيو مونتيغري إلى بوكور، فقد ألم هذا السنة السوء ومنعها من التقول، ورأوا أنه من الطبيعي أن يأكل على مائدةي، وأن يتزه مع ابني وأبنتي ومس جكوبسون.

وقد قدر الكل قيمة هذا الشاب بعد الأسبوع الذي قضاه، وكان يظهر عليه أنه يجد في اللعب بالسيف وركوب الخيل مع مورييس لذة أكبر من الجلوس مع لوسي لقراءة الموسيقى أو الجلوس مع مس جكوبسون يناقشها في شتى الشؤون العلمية. أما احترامه لي فكان يذكرني باحترام زوجي العزيز المسكين، وإذا أضفت إلى كل هذه الفضائل أنه غني وليس له أب أو أم، وأنه ربي تحت رعايتكم، أجد نفسي مضطراً إلى الاعتراف يا عزيزي الأب بيئي، إني أسعد الأمهات وإنك أحكم المرشدين.

وكان قلقى العظيم، بعد أن وثقت من فضائل مسيو دي مونتيغري النادرة هو: هل يقدر له أن يحب لوسي؟ ولوسي هل تحبه هي؟ لوسي فاتنة، ولا أظنني مدفوعة باليه الوالدي إذا قلت «فاتنة» ... ولكنها ساذجة وبسيطة لدرجة عظيمة، لا تهم بالتجمل الذي يهم الشبان الآن، وهي ليست أبداً من اللاتي يرضين بأول راغب في الزواج منهم تلك العزيزة.

ثم كلمة أسرها لك فقط، أظن أنها أحدثت أثراً عظيماً في نفس مسيو دي مونتيغري بروحها الخفيفة فقط. آه، إنه لم يصرّح لها بشيء من ذلك قط، وهو أكثر أدباً من أن يسمح لنفسه أن يأتي عملاً غير لائق كهذا، ولكنه صرّح بكل شيء، برازانته المعدودة لمس جكوبسون التي أكتسبتها سنوها الأربعون شجاعة فائقة، وكانت لا تزال تكرر لي حتى هذه اللحظة: «هل لاحظت كيف كان المسيو دي مونتيغري — وهو الذي يصيب في كل عمل — قلقاً وحزيناً يوم سفره؟ مع أن الحياة في بوكور تنقصها الكثير من الملاهي التي تقدمها باريز لشاب واسع الغنى، كريم المتحد، لا ريب أن السبب ذلك كان لأنه ترك قلبه في بوكور!»

والحق أنها أصابت في حدسها؛ فهي فتاة ليبة ...

أما لوسي، فإنها لم تقل شيئاً، لا لمربيتها ولا لي، وأظن أنني كنت أصنع مثل ما صنعت لو كنت مكانها وفي سنها، وكل فتاة عفيفة تكتم في طيات نفسها أقل انفعال من انفعالات قلبها.

ولكني راقبتها، وكانت تتجمّل إن لم تكن تتبرّج كي تناول إعجاب ضيفنا، وكانت تسر بمجلسه وصحته، وقد مكثت هي الأخرى شاردة اللب بعد سفره، وفي كلمة واحدة. لقد سارت الأمور في مجرى حسن كي تنتهي حيث تمنينا.

وأنا أرجو أن تُنهي باريز ما بدأته بوكور، ومن المناسب أن يأتي مسيو دي مونتيفرى لزيارتنا ماراً من اليوم التالي ليوم وصولنا. وأنا أفكر في دعوته للغذاء على مائدتنا، وبهذه الطريقة يصبح المتحابان غير قادرين على الافتراق عن بعضهما، ويصل بهما الحال أخيراً أن يطلبَا منا بنفسهما أن نسمح لهما بالزواج في أقرب وقت، ويمكننا برشاقة أن نقدم لهما زواجاً هو زواج رغبة كانا يظننان فيه – لو لا هذا الطريق الذي مهدناه لهما – أنه زواج صالح.

أعترف يا سيدي القس بيبيه أننا من صغار المخادعين! ولكنه والحق لأجل سعادة الأبناء الذين نحبهم، ولأجل تكوين عائلة مسيحية، وإنني سعيدة سعادة لا يمكنني أن أعبر لكم عنها، وتراني إلى جانب تعبييري عن سروري أزفُ إليكم أسمى عبارات الشكر الخالص.

كونتيسة بوكور – جيفري

(٢)

إلى مادموازيل كلوتيلدي لسبرون – يحفظ بشباك بريد هوسمان، باريز

أرسل إليك هذه الكلمة يا عزيزتي كلو، بكل تكُّنْ وتحفظ، حتى لا أترك فرصة لوالدتي ولس جكوبسون وللأب بيبيه وللأشخاص الذين يهتمُّون بشخصي الصغير، أنا التي لا يزيد سنها عن سبعة عشر عاماً كي يتدخلوا في شئوننا وحيثنا الودي. وهناك حديث طويل هذه المرة فأرهفي أذنيك: كلو! «أولاً» فرح! فإننا نترك بوكور يوم السبت إلى شارع الجامعة، وسأكون بالمنزل حوالي الساعة الخامسة، وأتمنى أن تجدي وسيلة للحضور مع أخيك المسيو هنري إذا كان راغباً في اجتلاء طلعتي، وسماع آخر الأخبار عن «زواجه»، فليس هناك شك في أن القرار قد استقرَّ على تزويجي ... بـ«الضيف»! نعم قرروا أن يزوجوني بتلميذ الأب بيبيه المختار، ومس جكوبسون ووالدتي تتهامسان سراً من يوم سفره، وهم تدلّلاني وتقبلاني كأن ساعة الفراق قد دَنَّتْ، وقد رحل المسيو دي مونتيفرى كي يلحق بالأب بيبيه.

هل يحبني؟ يا رباه! إنني لا أعرف حقاً، فتصرفاته غريبة، تلميذ الأب بيبيه، وله رزانة طلبة المدرسة الإكليريكية، وهو ليس كثير الغباوة، خفيف الحركة، ليس أكثر

دمامة في وجهه من غيره، ولكنك تعلمين؛ أي كلو الصغيرة، أنه ليس هناك غير وجه رجل واحد يُعجبني، ويمكنا أن تذكرني ذلك الهنري، فلا يكون هناك محل لغيرته! ويجب أن تلاحظي جيداً أن زوجي «المقبل» لم ينتقص من احترامي أبداً، وهذا ليس بخطأ والدتي أو مس جوكوبسون؛ فإنهما كانتا تفعلان كلَّ ما يمكنهما كي تتركاه منفرداً معى، يا للشاب المسكين! وكانتا تأملان — بلا شك — أن انفراطه بي يثيره، ثم يجعله لا يتحمل! ومن ثم يجعله يبوح بغرامه، وبعد ذلك يجب تزويجنا توًا ... توًا!

وتعالى انظري والضيف منفرد معى، وهو يقرب مقعده من مقعدي، ويستمرُ في التحدث عن الموسيقى والدراجات والعالم، كما أن لو كان الأب بيئي أو أمي حاضرين معنا، يلاحظان مجرى الحديث.

والحق أن هذا كان يغيظنى، و كنت أفكِر في نفسي: «وعلى كل حال فالآب بيئي يخرجهم من مصنعته على قالب خاص. أنا أرى الصدًّ من هذا الشاب، أنا التي لا يمكن الشبان العاديين الجلوس معى عشر دقائق بغير أن يسرفوا في حديث الحب!» ولذلك (ولا تروي هذا لهنري) جرَّبت أن أفتنه ... قليلاً قليلاً جدًّا؛ فاستعملت النظرات، واحتَّكت يدي بيده مراًضاً وأنا جالسة إلى البيانو، وبالتأكيد أثْرَ عليه هذا تأثيراً معيناً، وقد ظننت مرة أو مرتين أنه قد عزم على طبع قبلة احترام على شعري.

ولكن لا! فقد كان يضبط عواطفه دائمًا، وربما كان هذا عن قصد، أو ربما كان هذا ما يحدث عندما تكون النية معقودة على الزواج، ويجب أن تقولي لأخيك إنه يجب أن يكون في معاملته لي ابتداءً من اليوم ضابطاً لنفسه وعواطفه كالمسيو دي مونتيفرى، وإلاً فلن أتزوجه أبداً، وسأصيير «دام دى مونتيفرى».

ويجب أن أعترف مع ذلك، ثناءً على هذا الفارس الشاب الذي ظهر عليه القلق وهو يودعني على المحطة قبل أن يغادرنا مساء الأمس، أنه لم يتمالك نفسه، وظهرت شخصيته الحقيقية التي كان يظهر بغيرها مدة إقامته، وارتباكاً ظاهراً، حتى إنه خطاب والدتي فسمتها «سيدي القس»، ونادى مس جوكوبسون قائلاً: ديزى فقط!

وقد قبل يدي، وسأجعله يكرر ذلك ويصنع كل ما أريد، طول فصل الشتاء ... فأنا لا أريد أن أتخلاص منه سريعاً؛ فقد لاحظت أنه منذ فكروا في هذه المشروعات العظيمة أصبحوا أكثر لطفاً في معاملتى، وتركوا لي الحرية لأفعل ما أريد، وجوكوبسون بوجه خاص أصبحت صديقة حبيبة، هي لا تكلفني بأى عمل من الأعمال، ومع ذلك تصرح أني أشتغل حسناً جدًّا ...

الضيف

والآن، إلى الملنقي القريب، أي كلو العزيزة، وأنا أرسل لك قبلة كبيرة لنفسك، وأخرى تتصرفين بها كما ترغبين، ولكنني سأطلب استردادها من هنري عندما نتقابل في القريب العاجل.

أوه! كنت أود أن أجلس معك في غرفتي لنتسامّر ونتبادل الأخبار، فليس هناك شيء أللُّ من ذلك في العالم.

لوسي دي بوكور

ملاحظة: إذا كان هنري يخونني مع المؤسسات فلن أتزوجه، قولي له هذا جدياً، وسأعرف ...

(٣)

إلى المسيو دي مونتيفري، ٢٣ شارع البو، باريز

يصل إلى باريز بعد غد يا حبيبي العزيز الجميل ومعنا طائرتك الصغيرة، دغ أمها، وأتمنى أن أجده في ذلك اليوم نفسه بمنزلك حوالي الساعة الخامسة آه! ستحبني يا عزيزي كما كان الحال في بوكور؛ أليس كذلك؟ إني أفكر كل هذا الوقت في خلقك الفرنسية، ثم يحرّر وجهي خجلاً، سلاماً إليها الصديق، وقبلات كثيرة، إلى الملنقي.

ديزي جكوسون

بعد الخطيئة

«الساعة العاشرة مساءً.

سيدة صغيرة السن تبلغ الخامسة والعشرين، هي مدام دي روبرتييه، منفردة في غرفة نومها، وجالسة إلى مكتبها المضاء بالنور الكهربائي، وأمامها خطاب مغلق ليس على الظرف الأزرق اللون، والطويل الشكل، أي عنوان بعد. مدام دي روبرتييه نصف عارية، وهذا يوافق مظهرها تمام الموافقة، وهي شقراء ساحرة الجمال.

ولونها عادة بهيج وصافٍ جدًا، ولكنها في ذلك المساء بكت كثيًراً، فعل خديها وجفونها آثار الألم.»

مدام دي روبرتييه تحدث نفسها: والآن، إذا كان لدى شيء من الشجاعة، وإذا كنت لا أزل أساوي شيئاً بعد فلأكتب إلى زوجي قائلة:

... ها أنا بأئستة! ... لا أستحق أن أكون لك؛ لأن المهمات التي تهمني وتهتمك أنت على حد سواء، قد اضطررت أن تبقى بعيدًا عنِّي، فخنتك واتخذت لي عشيقاً، وأي عشيق؟! هو رجل خليع مقامر غبي كجلود خشب، أسود العينين جميلهما، هذا حقيقي، وكذلك يده مثل أيدي النساء ... ويحمل لقباً ضخماً (المركيز دي هرموزو)، ولكن هذا لا يهم، أليس كذلك؟ ولم يكن سبباً يدفع إلى الخيانة بعد زواج سعيد مضى عليه عامان، أنت الذي تحبني، وأنت الذي أحبك؛ لأنني أحبك وأسفاه! جان، نعم إنني أحبك، وخصوصاً الآن أحبك أكثر جدًا من هذا الجميل الذي لا أجد طعماً لجماله، هرموزو، وهو الذي كنت

من آونة بين ذراعيه، وقضيت الزمن من الساعة الخامسة إلى السابعة في منزله
بشارع لابوم...!

(انقطاع التذكريات، مدام دي روبرتييه تسكن ببرهه ثم تعاود خيط تأملاتها).
– هذا ما أكتبه لزوجي إذا كان في قلبي نرة من الرحمة، ويكون هذا من الأمانة
والإخلاص ...
(بعد برهه).

– والخرق فإنه على كل حال ليس أشد على الزوج من معرفة شيء كهذا، واليوم من
الساعة الخامسة إلى السابعة كانت مدام روبرتييه ساكنة هادئة كباقي الأيام الأخرى.
وبالطبع لا يجب أن يطلب مني أن أسبب شقاء زوجي بإخلاصي الزائد عن الحد،
سأكتب في الحال خطاباً لجان، كله رقة وبعض غرام أيضاً «هو يجب أن تصله مثل هذه
الخطابات حين يكون بعيداً عنِّي» وفي نفس البريد يصل هرموزو هذا الخطاب المقتضب
الذي كتبته بعد خروجي من عنده تواً.

ويصل الخطاب إلى زوجي بعد غد، أما هرموزو فيستلم خطابه غداً، ويقدم له
الخطاب وهو لا يزال في فراشه حوالي الظهر ... ولا ريب أنه يكون أحسن هدية تقدم له
عند استيقاظه.

يجب أن أقرأه ثانية.

(تمزق الظرف وتفتح الخطاب وتقرؤه بصوت ضعيف):

سيدي

لقد أساءت بكل وقاحة، استعمال الثقة التي أولتها إليك إياك امرأة أمينة؛ فإني عند
ذهابي إليك كنت أقصد التفرج على تحفك حسب وعدك، ثم انصرف، وأنت
تفهم عندما حدث أنني لا أريد رؤيتك، ولكنني أود أن أخبرك أنني أحب زوجي
لدرجة العبادة، وأننيأشعر من نحوك بأشد الازدراء.

JACKLIN

(تفكر وفي يدها الورقة).

- ولكن ... ما كتبته لهذا الشاب يدل في جملته على قلة تبصر في عواقب الأمور
فليس عليه إلا أن يقرأ هذا الخطاب لجمع من أصدقائه، فمعناه يدل صراحة «أني كنت
عشيقتك» ثم ...

(بابتسامة لا يمكن إدراك كنهها).

- وهناك جملة «التحف»، وهي ليست جيدة، لقد كنت قلقة جدًا، ولكن جملة
«الازدراء» موافقة جد الموقفة.

(تمزق الخطاب وتبدأ خطاباً آخر، وهي تجتهد في تغيير خطها):

سيدي

لم تصدق معي الحديث، لقد فعلت ما فعلت وأنا أعتقد أنك ستتصرف تصرف
الرجل الشريف، ولقد خدعتني تماماً، فمن الآن يجب أن تفهم أنه من المستحيل
أن أقاولك، ولكني أود أن أخبرك أني أحب زوجي لدرجة العبادة، وأننيأشعر
من نحوك بأشد الازدراء.

ج...

(تفكير).

- هذا ليس خطراً، ولكن فيه بعض الحماقة، وعلى كل حال «لقد فعلت ما فعلت
...» هذه لا تعني شيئاً أليته ... نعم! ليس هذا الخطاب حسن الأسلوب، وهرموزو
كان عشيق مدام ليسكفر التي برعـت في الكتابة جد البراعة، فلا ريب أن هذا ليس هو
المقصود.

(تمزق الخطاب وتبدأ كتابة آخر):

سيدي

أرجو أن تمسح من ذاكرتك، كما مسحت أنا من ذاكرتي ما حدث بيننااليوم،
وإنني لأخاطب شرفك شرف الرجل النبيل، لقد انتهى كل شيء ونسى، أليس
ذلك؟ إنني أحب زوجي لدرجة العبادة وإننيأشعر نحوك ...

- لا، ما دمت قد كتبت بهذا الأسلوب لا يمكنني أن أقول له إننيأشعر نحوه بأشد
الازدراء؛ إذ قبل ذلك بثلاثة أسطر أعامله كرجل نبيل، سأكتب فقط: «أني أحب زوجي
لدرجة العبادة».

حسناً، ولكن: «إني أحب زوجي لدرجة العبادة». تأتي هذه الجملة بعد اليوم الذي سيفصلك كثيراً، ولا ريب أنه محق في ضحكته، هل لي حقاً أن أؤنبه على أي شيء؟ لقد أدى وظيفته كرجل ... لقد قبلت أن أذهب عنده بحجة أن أرى تحفه، ولكن أخيراً كنت أعلم تماماً العلم أنه لا يمكن هادئاً كحارس متحف فقط. أوه! أكان يجب أن أدافع وأقاوم. وبعد، فإني لا أعرف كيف تم ذلك؟ (حركة سأم).

- وكذلك جان مخطئ في تركي وحيدة طول هذه المدة.
(تفكير).

- مسكين جان، إنه يفكر بي هناك، وهو لا يشك. أوه! سأحبه كلَّ الحب عند رجوعه.

(تمزق الخطاب الذي انتهت من تحريره وتبدأ مرة أخرى):

سيدي

أرجوك أن تمسح ذكري هذا اليوم من ذاكرتك كما أريد أن أمسحها من ذاكرتي. يجب أن ينتهي كل شيء وينتهي، وبهذه المناسبة أحافظ لكم تذكاراً محزناً، ولكن بدون بغضاء أو ازدراء.

.ج.

هذا أحسن جداً، وقور وحزين، وهو لن يحزن الغلام المسكين كثيراً. وعلى كل حال لقد كنت لعوبة معه، والآن هل أرسله هذا المساء؟ أغلقت مكاتب البريد أبوابها، ثم إن «بتسى» ستقرأ العنوان وتتحدث هناك في المكتب العام، لا ريب أنه أفضل أن أمر بنفسي على مكتب البريد صباح الغد عند ذهابي إلى اللوفر، والآن فلنذهب.

(اهتمام بزيينة الوجه - صلاة - نوم (ثمان ساعات نوم هنيء) - حوالي الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم التالي تدخل بتسى غرفة نوم سيدتها).

مدام دي روبرتى (وهي تستيقظ): وما هذا؟

بتسى: سيدتي، إنها من محل فاديان، سلة ورد كبيرة.

مدام دي روبرتى (وقد استعادت ذاكرتها): آه، ورد. إني أعلم ما هو. هذا حسن، افتحي النافذة وأحضرى لي سلة الورد (بتسى تطيع السلة ملأى بالورود الجميلة الحمراء والبيضاء، بتسى تخرج).

مدام دي روبرتييه: حسنة هذه هي الفكرة هدية الصباح، في اليوم التالي، وأنا التي كتبت له بهذه القسوة.
(تذهب إلى المكتب، تفتح خطاب المساء وتعيد قراءته، وتمشي بضع دقائق في غرفتها، ثم تقف أمام الخزانة ذات الثلاث مرائي، وتلاحظ بسرور أن النوم قد أعاد لها بهاء لونها. ترجع إلى المكتب وتمزق الخطاب بين يديها).
– بكل تأكيد لا يمكنني أن أرسل له هذا بعد سلة الورد (جلس وتكلبت بسرعة الكلمات التالية):

إنيأشكرك، أنا حزينة جدًا، كنت أريد أن أنسى البارحة، ولكنني لم أتمكن،
ارحمني!

.ج.

(تعيد قراءته).
– هذا حسن وفيه وقار كالآخر، وهو أشد ظرفًا، سأضع هذا في صندوق البريد عند ذهابي إلى اللوفر.
(تدق الجرس لبتسبي وترتدي ملابسها).

عن «مرسيل بريفو»

